مدونة هناء الماضي (رحمها الله)

الفهرس:

مقالات النسوية:

تشكلات النسوية في الواقع المعاصر



31 يناير، 2021

الذي لابد أن نفهمه بعقلية متبصرة؛ أن النسوية ليست وليدة يوم وليلة، ولا ظاهرة كونية طبيعية، جاءت في اللحظة، إنما مسار تيار فكري استغرق الكثير من الوقت لإعداده في مصانع الغرب أولًا، وكانت التجارب الأولى من هناك، وامتدت في أثير الكون إلى هنا.
النسوية إيديولوجية غير محددة التعريف، فهي متنوعة الدوافع بتنوع التشكلات الرسمية لهذا الكيان الغاضب، والممتعض على أتفه شيء.
وهذا الامتعاض المستمر صاغ المفهوم النسوي بالكراهية والرفض، الذي قد يحدث بشكل عشوائي أو منظم، لكنه لن ينتهي ما دامت النسوية قائمة وتسير بين الناس.
فمن طبيعة الأفكار أنها لا تدوم، ولم يثبت لتيار ما أن بقى في البشرية بقاء الدين، إنما هي زوابع تثور وتهدأ، تموج وتضطرب، ثم تعود لسكونها أول مرة.
وهذا ينطبق على هذا الفكر، الذي أقصى آماله أن يبقى مدة أطول لا ينمحق قبل استغلال أعضائها تمام الاستغلال.
وتأتي كلمة استغلال (في النفس) مع مصطلح النسوية كلما ذُكر وهذا لأنه في الأساس قائم على استغلاله للكثيرات ودون أن يشعرن بذلك، تحت سكرة المطالبات التي لا تنتهي، واستغلال لدول بعينها لتنفيذ مطالب نسوية، حتى لو كانت تتعارض مع تراثها وبنيتها.
من خلال قليل تفكر في واقعنا العالمي المعاصر، نجد أن النسوية ليست منعزلة عن باقي الظواهر الاجتماعية الحديثة، بل ما جعلها صالحة لهذا الوقت تحديدا، تمهيد النظام العالمي الحديث، أو الحداثة بالمفهوم الشمولي وأثره في نحت المجتمعات وتغيير الهيكلة الشكلية من الداخل والخارج.
فمن مفرزات الحداثة، وسبلها في تخدير الشعوب، وزرع مفاهيم وتشذيب أخرى، جاءت نظم حديثة غيرت من عقول الأفراد والمجتمعات.

الفردانية، واحدة من أهم السبل التي تغذت عليها النسوية، فمصلحة الفرد تأتي في المرتبة الأولى، مع غياب الأطر التي تحدد تلك المصلحة العائمة، والدفاع عن مصالح الفرد مسألة متجذرة وفوق اعتبارات الدولة والجماعات، مع دفع كل تدخل خارجي أو تحكم في مصلحة الفرد من قبل المجتمع أو المؤسسات.
تقوم الفردية؛ على فرضية "أن الفرد البشري هو العامل الأولي الأهم في النضال من أجل التحرير" وهي عينها الثورة النسوية والتقوقع حول الأنثى إلى درجة العبادة، فهي فردانية مؤدلجة، وبحث عن الذات في كل ما يصوغ تلك الذات حسب مفهومها المسبق عنه وكيف لابد أن يكون.

أما ما يتعلق بتأثير السياسة على دور المرأة في الثورة، وتنميط الحياة العامة بأسس تم تفصيلها مسبقا، فهو بارز إلى درجة أن الجميع يلاحظ أن النسوية لن تقوم لها قائمة إن لم تكن مدعومة من الخلف، فهي من حيث هي لا شيء لولا دعم الحكومات، أو لجنة القضاء على أي تمييز ضد المرأة.
فتأثير الهيئات الدولية والضغط على الدول العربية تحديدا، ساهم في إحداث تغييرات حقيقية، كانت كالنواة لما سيأتي بعد، فكثير من التيارات لا يتم دعمها عبثًا إنما لأهداف سياسية محورية من صميمها إعادة تشكيل بعض المناطق بطريقة ناعمة وسلمية.
لا تسألني عن ضعف الذكورية إلى درجة التقلص أمام طوفان الفكر النسوي؟!
بل اسأل عن أيهما هو اللعبة -الحالية- في يد السياسة، وبقاءه يشكل أهمية في التغيير المستقبلي.
لذلك تذوب الذكورية في كل مرة، ويبقى علم "المرأة الحرة" يرفرف على قمة الإعلام والقرارات الإدارية والتسهيلات والمنظمات والندوات..

على وجه الخصوصية، والتحديد، من بين النسويات العربية، النسوية السعودية تصاعدت الفترة الأخيرة، بنماء فوق طبيعة النمو نفسه، فهي تتكاثر تكاثر سرطاني يشل الكثير من الأسر ويعطل استقرارها.
لم تحدث التغييرات بتدريج وبطء نفس ما حدث في بعض الدول الأخرى، إنما صعد سهم التوترات عاليا وتم استغلال وسائل التواصل الاجتماعي بعد الاستهداف الإعلامي وتوعيته -المزعومة- وتضليله كذلك بحقوق المرأة.
جاءت برامج التواصل خطوة لاحقة بعد مقدمات أخذت من الوقت أكثر بكثير من نتائج الإنفجار المرتقب، وها نحن نشهد شظايا الضحايا، والهدم والتخريب في كل ناحية.
لفهم النسوية السعودية، يجب دراستها بشكل مستقل أولًا ثم ربطها -بعد ذلك- بغيرها، لأن لها خصوصية المكان، والزمان، والتأثيرات، وتعجيل الأثر، ما لم يسبق له مثيل -في رأيي- إلا كما كانت سرعة بناء (داعش) المتطرف، وهجومه على كل ما يخالفه.
ومن التجرد أيضا أن لا نخلط الجميع في نفس الخلاط، فهنا لا زال تأثير الدين والأسرة حاضرا، ومع ضعف الدين وضعف لحمة البيت، إلا أن حنين المرأة لازال يصرخ في أعماقها لقرب العهد، وعدم الابتعاد بشكل كلي وإن ظهر فساد الفكر.
يقول المفكر الفرنسي أوليفيه : "لولا الإسلام لكان كل شمال أفريقيا جزءا لا يتجزأ من أرض فرنسا الجديدة، ولذهبت شعوب هذه المنطقة أدراج الرياح وأصابها ما أصاب الهنود الحمر."
أيضا توزعه على مستويات ومراحل وتقسيمات ينبغي مراعاتها.
فالنسوية السعودية ليست هي تماما النسوية العالمية، ولكنها فرع مختلف، بما هو منه وفيه.
وأخطر فئة من بين فئات النسوية الجديدة، ليست تلك القديمة المدبرة، فهي تعلم في قرارة نفسها أنها

محملة بفكر خارج السياق العربي، ولكن تلك الصغيرة التي تبدلت منذ وقت مبكر، وتشاركت مع الصديقات نفس الميول، وتربت بلا حشمة، وتصلبت وهي طرية، وتغربت وهي قريبة، هذه بالذات الخطر القادم منها حتى لو ضعف التيار.

النسوية ونظام الحشود



1 فبراير، 2021

تتوقف لبرهة فتفكر ما الذي يستقوي به الآخر حتى يفرض الهيمنة لأفكاره؛ قد يكون بالمنطق الصائب في أحسن أحواله، وبالصوت العالي إذا تأكد من خلو رأيه من الحجج المقنعة. وهذا الأخير هو ما تفعله النسوية أثناء تخوين، وتخويف الآخر، وبعبارة أخرى .. (هي تعلم أن حجتها قد تبدو ضعيفة، وسهلة الدحض، ولكن توجد دعامة الاستقواء النفسي).

دعامة الاستقواء النفسي : وسيلة فعالة وليست بالضرورة فردية، خاصة وأن الحركة تؤمن بقوة المجموعة والتكاتف الأنثوي لتغلب الكثرة الفكرة والآخر معا.

ومع أنها كانت ترفض أن تُساس الأفكار من خلال الجماعات، أو يتم ترويجها على فئات، وفي ذلك كانت أول ما بدأت ترفض التقليدي بالفريد، إلا أنها تذوب هي في ما كانت ترفض مسبقا، وتناقض نفسها كما تفعل في كل مرة.

تدعيم المشهد بالحشود فكرة قديمة حديثة، تعتمد عليها الحركة منذ بدايتها، فهي لا تستمر إلا بالتكاتف الشرس والتمسك بالأعداد الكبيرة، وهذا ما جعلها تستمر حتى في أشد البيئات محافظة، أنها تتغذى على المساندة، وتقوم على أكتاف التآخي تحت اللواء، فيشتد هجومها على كل مخالفة لموجة التحدي الشرس، وتبصق إن لزم الأمر وقد تتكلم بكلمات لم يشهد لها المجتمع مثيل لأنها تعلمت أنها تفعل ما تشاء حتى لو كان ما تشاؤه خارج سياج الأخلاق.

من خلال الاستقراء لشريحة ليست بالصغيرة، من واقعنا اليوم، الكثيرات قد لا يفهمن حقيقة الحركة، بقدر فهمهن أنها لا تقوم لها قائمة إلا على أكتافهن، فيسعين للتعزيز والدعم وتنشيط الأفكار، بجهاد من يؤمن أشد الإيمان بعقيدته، حتى لو لم يدرك تفصيلاتها، وهذا سبب جهل الغالبية بأبعاد الموجة، وقلة فهمهن لتاريخها وسبب ظهورها وعلاقة كل هذا بمطالبهن.

أذكر مرة تم اتهامي بعدم الاهتمام بقضايا المرأة والمظلومات والمضطهدات، وأن الكثير من الأسر تسيء التعامل إلى النساء وترتكب الجرائم بحقهن، وكل هذا لأني رفضت أدلجة الخطاب الحقوقي. ونددت برؤية أن النسوية قد تنصر مظلومة أو تسترد حق مغصوبة على أصول إسلامية، سوية دون انتهاك واستغلال للموقف والظهور فوقه، وأخذ ميدالية بطولة لم تحققها.

وكما قلت في إحدى التغريدات السابقة :"كثير من التيارات حاكميتها ليست إسلامية، لذلك إذا حاكمتك على الفروع، لا تجيبها إلا بتذكيرها بانحراف الأصول، فالأصل المنحرف لا يشفع له فرع فيه جانب من الصواب.

لذلك حينما تتشكى (النسوية) بأنك لا تقف خلفها رغم اهتمامها بنصرة المظلومات، ذكرها بأصولها المنحرفة، وأن الفرع تبع لمزاجية الأصل."

تستخدم النسوية نظام الحشود ليكون للكلمة صدى، وللضربة أثر، وللسلوك أبعاد عميقة، على مستوى الموافقين والمخالفين ..

فأما على مستوى الموافقين فيزداد الإيمان بقوتها وصمودها أمام المختلفين معها.

وأما مع المخالفين فعملا على جانب التخويف والترهيب وزرع الهيبة في الصدور، ولا يحتجن إلى هيبة الإجلال فهي لا تعنيهن، بقدر هيبة المواجهة، أن تهاب أن تتقدم بكلمة أمام هذه الصفوف الغاضبة والمتعطشة للشتم والسب، وبهذا تؤكد أنها قائمة على الترهيب أكثر مما تكون على معانٍ صلبة متينة تقاوم الآخرين بنفسها وإن تطلبت حماية فهي حماية التجلية لا الاعتداء.

"أهم الصفات المطلوبة في قائد الحركة الجماهيرية الشجاعة، والإيمان المطلق بقضيته المقدسة، وإدراكه أهمية قيام كيان جماعي متلاحم، وأهم من ذلك القدرة على خلق ولاء أعمى عند مجموعة من المساعدين الفاعلين".

"إن العضو الذي انصهر في الجماعة يظل، دائما وأبدا، يعاني من شعور بعدم النضج وغياب الثقة بالنفس".

"إن آلية غرس الاستعداد للقتال والموت تتكون من فصل الفرد عن نفسه، عن شخصه المكون من لحم ودم، وعنه من أن يكون ما تريده نفسه الحقيقية أن يكون، ويتحقق هذا الهدف بتذويب الفرد في المجموعة الموحدة المترابطة؛ بإعطائه نفسا جديدة متخيلة؛ بأن تغرس فيه اتجاها إلى احتقار الحاضر وشغفا بالأشياء القادمة التي سوف تجيء في المستقبل؛ بأن نضع حجابا بينه وبين الحقائق؛ بأن نشحنه بالعواطف المتفجرة على نحو يجعل من المستحيل عليه أن يعيش مع نفسه".

-المؤمن الصادق/إيريك هوفر.

لماذا تشكل النسوية خطر على المجتمعات؟!



1 فبراير، 2021

قبل البدء في الحديث عن خطر النسوية؛ وما الذي زرعته في صدور الغالبية، نتطرق لنقطة مهمة هي من صميم بنية الفكر النسوي، وهي .. لماذا النسوية أصلا؟!

حين العودة لبداية الحركة، نجد أنها تشكلت وصيغ المصطلح لأول مرة في عام 1895 ليعبر عن تيار تقوده اتجاهات معينة، خرج
لمقاومة تبعية النساء للرجال، وكان على مستويات ثلاثة، الأولى : للتسوية القانوية، والثانية للتسوية الاجتماعية، الجندرية، والثالثة لإتمام أعمال الموجة الثانية.

وهي في ذلك تخرج من مجرد ثورة قامت لانتزاع حقوق وتحقيق مطالب إلى غضب دائم لا يتوقف حتى لو تحققت جميعها أومعظمها.

على صعيد آخر، ماذا فعلت النسوية في الغرب؟

- سعت إلى إلغاء الفروقات بين الجنسين.
- بنت الانتقاد العام للرجال (وإظهار أن المرأة ضحية بشكل مستمر).
- التحيز في المقالات والكتب لتأكيد عدم وجود فوارق بين الذكور والإناث.
- زرع مصطلح الجندر للقضاء على العلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة، والسماح بعلاقات شاذة عن الزواج التقليدي.
- ترويج أن الأمومة والزواج التقليدي عبء ثقيل وظلم للمرأة.
- تكريس مفهوم الضحية، والظلم الناتج عن الهيمنة الذكورية.
- وضع حدود جديدة للعلاقات وأن ما لا يخضع لرغبتها هو من التعدي، والاغتصاب حتى لو كان زوجها.
- الحصول على الحرية المطلقة في العلاقات، وترويج الإباحية بين النساء.
- المطالبة بحماية الزواج من نفس الجنس دوليا.

- محاولة تغيير وإعادة صياغة اللغة.

ولا نسأل عن أثر هذا كله على المجتمع فهو واضح وبيّن لكل ذي عقل، إنما عن أثر هذا التيار على النسويات الأخرى، وهل هي تتبنى نفس المنطلقات أم توجد فوارق ما؟

من الطبيعي _كما ذكرت سابقا– أن لكل مجتمع خصوصية ما، حتى في ظل الانفتاح العالمي واندماج الثقافات، هناك حدود لانتصور _في الوقت الحاضر– غيابها، لذلك ليس من العدل أن نضع الجميع في نفس القالب ..

ولكن يخفق من يظن أن التبني مختلف بالكلية، لا؛ هو ليس كذلك، توجد نقاط مشتركة أساسها المنبع، والفكرة الأساسية لم تمت في رسائل المنظرين لها والداعين إليها، بل هي نفسها باختلاف حدود المجتمع المتاحة، عاداته، قيمه، وجود المصلحين، الثقافة السائدة، تركيبة المجتمع نفسها وبعده أو قربه من بلد التخريج والولادة.

ولكن مع ذلك الخطر على المجتمعات الإسلامية أكبر، لأنها ملتزمة بعهد وميثاق سماوي، ودين خالد لم يُلوث، أو يُحرف. ولأنها مجتمعات سليمة الفطرة، وبعيد كل البعد –سابقا– عن كل ما يشوه جو الألفة، والحب.

وبغض النظر هل كانت النسوية استعمارية أم لا، هي نقلت الكثير من أفكارها للأمة الإسلامية وهذا هو الخطر الذي يحدق بنا لو لم نتداركه جميعا.

يقول الدكتور خالد قطب: "الفكر النسوي فكر استعماري بطريقة أو بأخرى؛ حيث يستخدم المستعمر الفكر النسوي لتبرير هيمنته
وسيطرته على البلاد التي يستعمرها، وقد لعب الفكر النسوي دورًا بارزًا في الحملات الاستعمارية التي استهدفت العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر، كما لعب هذا الفكر وما زال يلعب حتى الآن نفس الدور مع الاستعمار الغربي الجديد الذي يستهدف عالمنا الإسلامي ... إن الإسلام في نظر الحركة النسوية الاستعمارية هو العدو منذ الحروب الصليبية، فقد انصبت نظرية الخطاب الاستعماري الجديد والذي يتمحور حول المرأة – على أن الإسلام بطبيعته يضطهد المرأة، وأن الحجاب والتفرقة يرمزان إلى هذا الاضطهاد".

ما السر في كون النسوية خطر على المجتمعات الإسلامية؟ وما الذي نقلته تلك الغربية لنا؟

مما بدى ظاهرا من أثرها، حركات عدة تدعو إلى أمور لم نعهدها من بينها ..

- إثارة الشك الديني، واتهام الفقه الإسلامي بأنه ذكورى.

قد نظام الزواج الإسلامي، والسخرية من الأمومة والتربية واعتبارها مرتبة منخفضة مقارنة بالعمل خارج المنزل.

- تسليط الضوء على مشكلات تتعلق بالمرأة وإظهار أنها مضطهدة ومظلومة – وتمثيل دور الضحية الغربي بشكل يوائم المجتمع أكثر– وانتقاء جرائم العنف ضد المرأة بشكل يخدم الأجندة النسوية.

- التأكيد على المساواة المطلقة.
- تقييد دور الشريعة وحصره فيما يوافق الهوى.
- تكوين الحشود والسعي لتوسيع دائرة المتأثرات، واحتقار كل من يخالفها والتعرض له بالإساءة.
- رفض الزواج بحجة أنه درجة ثانية أو أخيرة في سلم الرغبات الأنثوية، وحتى في حال قبوله لابد أن يكون وفق مزاجها ورغبتها وشروطها المتأثرة بخلفيتها.
- تهميش دور الرجل سواء كان أب أو زوج، والتأكيد على أنه لا يدرك مصلحتها أو يسعى إلى تدميرها بهيمنته غير المرغوبة.
- إثارة النزاع والحساسية من أي نقد يتعلق بامرأة، أو قضية أو موضوع .. وذلك لاحتقانها تجاه هذه الأمور بشدة.
- تشتت الكثير من الأسر المتأثرة بالفكر النسوي، وصعوبة تقبلها الإندماج بشكل كامل مع مبادئ مجتمعاته ورغبتها المستمرة بالخروج من هذا السقف الخانق لذلك تهرب للخارج إما حقيقيا، أو فكريا، كأن تبقى في مجتمعها وبين أهل دينها جثة بعقل تم السيطرة عليه، يهيم مع حضارة أخرى، ويتعطش لحرياته.
- انتشار العلاقات غير الشرعية، وموافقتها ودعمها معنويا، والسعي للترغيب فيها وجعلها النموذج الأمثل.
- تفكيك منظومة القيم وتعزيز قيم الفوضى بالمقابل.
- تقديس الأنثى للأنثى مما يزيد من نسبة الإعجاب والحب بين الإناث.
- السعي لتشويه صور الملتزمات وذلك لأنه خطر يهدد منظومة النسوية الفكرية ورغبتها في التمدد والاستحواذ.
- نشر فكرة أن جسدي ملكي وأتصرف فيه كما أشاء، وأنت حر في ما تريد أن تفعله وغيرك حر كذلك بشرط أن يوافقك على أساسك الفكري، لو اختلف معه فهو ليس بحر.

..هذه بعض آثار الخطورة الناتجة عن زرع هذا الفكر المسموم في المجتمعات الإسلامية وخلخلة لحمتها بصراعات ليست من صراعاتها المقدسة، بل النذير لخرابها المشؤوم والله المستعان.

هل دافعت النسوية عن حقوق المرأة فعلا؟!



1 فبراير، 2021

سؤال يستشري في الأوساط النسائية، فكرة اندمجت وتشكلت منها أفكار أخرى، ونتائج ..

هل دافعت النسوية حقًا عن المظلومات، وكان التحسين الواقعي –كما يتردد– بفضل الجهود النسوية؟

وهل تتفق مع فكرة مفادها أحارب دينك، وأتهم مقدساته بالمخلفات، ثم أزعم أني من أنقذك من وطأة واقع إجتماعي تم سحقك به؟

ما يغيب عن كثير من العقول، إدراك أن النسوية بحد ذاتها، حرب على الإسلام نفسه، سلاح تم رفعه في وجه الدين، وهذا السلاح تم
زخرفته بقضايا ادعى أنه جاء من أجلها، وتخفى بجماليات شكلية تخفي آثاره الفتاكة.

فكثير من العيون أغراها الشكل عن المضمون، وأشغلها عن تحليل ما نتج عنه من كوارث، أو على الأقل لأي دافع كان.

فالنسوية رؤية أيديولجية لا تمتنع من الدفاع عن حقوق المرأة ولكن من منطلقات ليست شرعية، قيم غربية لا تستند إلى ما جاء به الوحي، ثم وحتى في دفاعها ستركز على ما يخدمها من قضايا، وتتجاهل وتصم الآذان عن مشكلات المرأة المسلمة عالميا، لأنها في الأساس متحيزة لعرفها الوافد، والفاسد.لن تجد تلك النسوية التي تبكي على إضطهاد مسلمات الهند والصين وسوريا وفلسطين .. حتى لو من قبيل الصدفة أو سقطة لسان عابرة، لأنها لا تعرف أن لهن حقوقا –هناك– من الأصل، وأن الحق الفعلي هو ما وافق مبدأ اللذة، المادي، من علاقات غير شرعية، أوحقها في الإسقاط أو الشذوذ أو حريتها بجميع صورها، حتى لو تتعارض تماما مع الدين الإسلامي.

توجد فجوة تأمل للواقع مع الأصول الشرعية، وهذا ما جعل الكثير ممن هو على حال مستقيم، وبعيد كل البعد عن الفكر النسوي،يعتقد ولو بشكل جزئي أن النسوية ساعدت في الدفاع عن حقوق المظلومات، وأنها عملت على تحسين الواقع، وإن كان يرفض أكثرما جاءت به.

وهذا خلل في التصور، في أن النسوية دافعت أصلا عن شيء، وذلك لأن التغييرات الحقيقية في واقع المرأة اليوم يعود في الأساسلأسباب سياسية كانت العامل الأول في تغيير هيكلة توزيع، الحقوق والمحظورات والمقبولات، حتى مطالبات النسوية نفسها كانتغطاء متدرج للتغيير السياسي، بأن تتدخل القرارات بما هو من مطالب المرأة نفسها، وشكواها التي رفعتها بشكل ضاغط.

أي موجة علمانية ستستصحب معها آثارها، والتي ستخرج بأشكال عدة فيها من تأثيراتها في العزل الديني بمستوى النموذج العلماني المفروض.

فحقوق المرأة تتأثر – في الأصل– بتعريف الحقوق والمرجعية الحاكمة لتلك الحقوق، فقد يكون ذلك الحق الذي يتم التعزيز له، نابع من فلسفة تنفصل عن النموذج الإسلامي أو بالأحرى تتخالف معه، وهي حق للمرأة –بزعم الحركة العالمية– ولكن ليس بالضرورة أن كلحق يتم التصريح عنه والمطالبة فيه، أن يكون حقا ملائما، متفقا مع الشريعة.ما تريده العولمة، إذابة الفوارق الحضارية والدينية، والنزوع حول الفردانية المتساوية.

فهي تضمن حرية انتقال المعلومة، وتعميم الأفكار وتوسيع دائرتها، بما في ذلك "مفهوم الحقوق" ذاته.

فحق المرأة دوليًا يتضمن : "الحق في السلامة الجسمانية، والاستقلال، وعدم التعرض للعنف الجنسي، والتصويت، وشغل المناصب العامة، وإبرام العقود القانونية، والحصول على حقوق متساوية في قانون الأسرة، الأجور العادلة أو المساواة في الأجور، والحقوق الإنجابية، والحق في الملكية، التعليم".

وهذه الحقوق قد تبدو مقبولة نوعا ما، لمن لا يدرك مراميها، أو اتجهات الدفع والتغيير التي تأخذها مطية للاكتمال.

فقانون المساواة بحد ذاته، يطمس في طريقه كل أمر شرعي جاء بالتفاوت أو بفرض أمر على جنس دون الآخر، فالمساواة هنا تكون بمثابة تحديث للأحكام الشرعية، وإعادة تشريع لما يتعلق باختلاف التكاليف والواجبات من المكلفين.فحينما تتدخل المساواة بالإرث والشهادة والقوامة وأحكام الطلاق... سينتج عن ذلك دين جديد، لا يحمل من الإسلام إلا اسمه.

وأن تسعى منطقة ما، تحت أي مظلة كانت، لتحديث الحقوق بما يوافق حقوق المرأة العالمية، هي تسعى إلى عزل الدين عن الواقع، وفرض دين آخر لا يمت له بعلاقة، سوى أن الأول هو دين العالم الجديد الذي يسعى إلى ربط جميع الحضارات بمبادئه مهما كانتمعارضتها.

لابد أن ندرك أن حقيقة نصرة التيار النسوي للمظلومات هو من أوهام العقل الشكلي، الذي لا ينفذ إلى حقائق الأمور على ما هي فعلا، فأن يتم الصراخ حول قضايا معدودة تندرج تحت الفكر العلماني وشروطه، لا يعني أن الصارخات قدمن الحلول المناسبة لجميع النساء أو أن تدخلهم سيجدي من أساسه لولا تسهيل الحكومات – المسؤولة– لمثل هذه الهتافات بالبزوغ وبضوابط مسموحة لاتتعادها ..

"وفيما يدعو خطاب النسوية لتحرير النساء وتمكينهن، يغفل في الآن ذاته شرائح من مختلف طبقات المجتمع من السود والمضطهدينوالمشردين والمسحوقين في العالم الثالث. إذ تنعم النساء الأرستقراطيات

بخيرات سحاب الحركة النسوية بعيدا عن مآسي عالم نساء الطبقة العاملة. وبهذا ترتقي الأرستقراطيات السلم الوظيفي وينتهي بهن المطاف في مناصب عليا، في الحين الذي تنظر إليهن النساء الأفقر بحسرة دون أمل بارتقاء درجة منه. ومصداقا لهذا، أشارت كالكين إلى أن النسوية تواجه اتهامات بالانحراف عن مسارها. لكن الخطاب النسوي خيب آمال الكثير من النساء واصطبغ بصبغة اقتصادية، ليسخر نفسه في خدمة سوق العمل ويسلم رقاب النساء لمقصلة المؤسسات النيوليبرالية. خطاب يُقصي كافة الفئات المهمشة الأحق بالرعاية، بدءا من النسوية السوداء ونسوية العالم الثالث والنسوية الغرائبية". –النسوية الجديدة..| مزنة حسناوي

"أن النسوية النيوليبرالية تشجع النساء على الالتفات لهمومهن الفردية وطموحاتهن لتثبيت مكانتها في السوق برعاية الرأسمالية النيوليبرالية التي تتبنى خطابا إقصائيا يتفاخر بأنه لا يأبه لمصير سوى النساء الأرستقراطيات، في صورة تعيدنا إلى ما قبل قيام الموجه الأولى من الحركة النسوية، حيث كانت تصب المكتسبات في مصلحة البيض والطبقات الاجتماعية الميسورة والمعيارية الغيرية.. وأجندات المحافظين الجدد".-روتينبيرغ / النسوية الجديدة

النسوية الإسلامية



1 فبراير، 2021

سميت النسوية الإسلامية بهذا الاسم، لأنها تعتمد على هذين القطبين في مخرجاتها النضالاتية، وخطاباتها الحقوقية..

فهي حركة جعلت من القرآن والسنة مرتكزات فكرية ومرجعية، بشرط أن يُحدد من الإسلام ما الذي يحتاجه هذا الشعار، فالإسلام عند أصحاب هذا التيار لا يقف في وجه الحرية الشخصية، ولا المساواة بين الجنسين، ولا أي من الحقوق التي تدافع عنها النسوية.

يأتي العائق في نظرهم من التأويلات الشرعية، التي تم بها تشويه الخطاب الإسلامي بحيث جعلته يخرج على أنه خطاب ذكوري، أو يدعو إلى التمييز، وعلى هذا أبرز الحركات الميدانية لها، نشر الوعي (النسوي) بين الأوساط النسائية، أخذ حقوق المرأة من السلطة الدينية الذكورية، ومحاولة النحت والتغيير في عقلية المجتمع، تجاه قضايا طالما تعامل معها على وتيرته الخاصة، والتي بها حفظ تفرده.

يقلق النسوية الإسلامية أن يتمدد عين الاسترسال في المعالجة لمشكلات المرأة على خط المؤسسة الدينية المعهود، فهي ترى أن فقه الماضي لا يتواءم مع مستجدات الحاضر، ولابد من مراعاة مطالباتها بالشكل الذي تحدده هي، وبالطريقة التي تفهم بها النص، فهي اكتشفت أنه تم التلاعب بها، وتضليلها بأحكام ليست من مراد الله –كما تزعم.

النسوية الإسلامية لا تسير على نمط واحد، بل أنماط عدة ..

من بين الأنماط، نمط أسميه النسوية "العمشاء" .. هذه –بالذات– لا ترى بنفسها، ولا تبصر حتى مفاهيمها بعقليتها ومبادئها التي تبنتها، إنما تسير على نمط تساؤل ما الذي يمنع المسلمة أن تفعل؟! لم يمنعها الدين؟!.

ما يميز هذه الفئة، الجهل؛ ليس بالدين فحسب إنما بالنسوية أيضًا، فهي لا تدرك على ماذا تنادي تلك، ولا ما يأمرها دينها على وجه التفصيل، فتعاني من انفصالية التطلعات مع شح التصورات، فترى أن للواقع

مستلزمات يجب مراعتها، وليس الأمر متعلق بالخروج عن رحاب الدين وأوامره، إنما مرعاة لجو الحداثة وحقوق المرأة التي فرضها معه.

لذلك إذا تم مواجهتها بأدلجتها الفكرية، تصرح بأن الأمر لا يتعلق بالتبني بقدر عدم فهم المسلمين لإسلامهم، والتشديد على المرأة بسبب الفهم المغلوط، وفرضهم عليها ما ليس لهم به بسلطان.

قد يُشك في نسويّة هذا النوع، وقد تُعتبر خارجة عنها، أو فقط متأثرة من بعيد، مع أني لا أحب إخراجها عن التيار الكلي وإن كانت فقط متأثرة به، وذلك لأن التأثر أو التبني الجزئي لا ينفي حقيقة الاتباع، خاصة إذا أقر من يقع عليه التعريف، بأنه مؤيد لهذا النظام ومقر به، بغض النظر عن تجلياته فيه ..

لذلك عند النظرة الكلية على النسوية الإسلامية نجد أنها متفرعة إلى نسوية إسلامية متطرفة، نسوية إسلامية نشطة– يشغلها ترويج الأفكار حتى لو بلغة علمية تحاول فيها الرزانة–، نسوية إسلامية عمشاء.

الفرق بين المتطرفة والنشطة، أن المتطرفة تقفز فوق النصوص بشكل صريح، ولا تهتم كثيرا هل أقنعت، أم لم تقنع، فهي الواجهة الثائرة للموجة، –ومع الثورة العمياء يغيب العقل.

أما النشطة، فهي عند ذوات التعليم الجيد أو العالي، من يحملن هم التطوع في تغيير الفكر النسوي، ونظرة المرأة لنفسها وبيئتها حتى لو تم التدليس على نصوص الوحيين بطريقة توحي للمتلقي أنها كانت غائبة عنه وللتو اكتشفها، فهذا النوع يُعيد باستمرار قراءة الأحكام والفقه بلغة عصرية لا تتصادم مع أفكاره الحداثية المرتبطة بخلفيته الفكرية.

ميزة هذا النوع الذكاء في الإقناع والتدمير بالتخفي، وينتشر في أوساط أستاذات الجامعات أو مدعيات الإلتزام الشرعي في بعض المحاضن أو الناشطات الحقوقيات اللاتي يدافعن عن حقوق المرأة الشرعية أو من هن في سدة التأثير والنجاح والثقة عند الكثيرات، وخطر هذه الفئة يتركز بالدرجة الأولى على "النسوية العمشاء" فهي تستمد الطريق من نظر غيرها فيه، وتسير كما يُفَضّل لها، أو يقنعها أكثر، لأنها واقعة فريسة الجهل، والأهواء المتلاطمة، مع واقع تراه مضطرب ولا مخرج فيه إلا بالتمسك بالفئة القوية، التي تُعلل سبب توجهها، وتمنحها الأجوبة دون عناء.

السؤال الأهم : هل في الإسلام نسوية؟، وهل تستمد النسوية أفكارها منه حقا؟.

الجواب الصادم : لا.

فالنسوية فلسفة دين مستقلة، تبتعد عن الدين، أو عن مناهجه التقليدية، لتخترع لها منهجا خاصا، يساعدها على التحرر من بعض القيود الدينية أو كلها، لذلك إذا توغلت النسوية في نسويتها اتجهت إلى الإلحاد، لأنها ستجد في منعطف ما أن النص الإسلامي لا يخدم رؤيتها العلمانية في تحرير الجسد الحرية الكاملة.

فالمنهج علماني، والعلمانية نظام يستبعد الأسس الدينية، في كافة الشؤون الاجتماعية أو غيرها .. وعلى هذا الأساس تتروح النسوية في قربها وبعدها عن العلمانية، ولكنها في الأساس تُقصي الدين بطرق متنوعة إما بالتأويل أو النقد والتصحيح أو الهجوم إذا تطلب المجتمع ذلك.

فمع الأسف العلمانية كان لها التأثير على كثير من الفلسفات، والتيارات والتي تعتبر بمثابة الأم لها، سواء كانت علمانية سياسية أو فلسفية أو ثقافية.

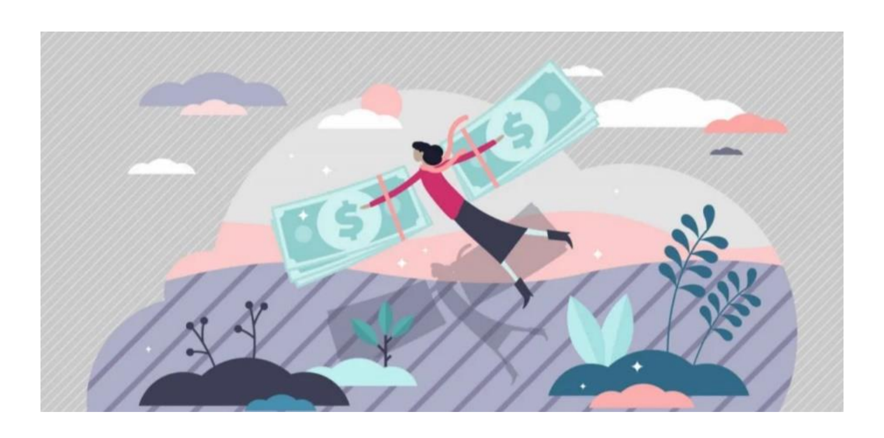
"ترى النسويات عمومًا أن هناك حاجة ملحة إلى بديل مباين تمامًا للأديان التقليدية، ويُبنى هذا البديل عن طريق آليات النقد التي عُرِضت آنفًا، إضافةً إلى الاستفادة من التقاليد الدينية المختلفة في التاريخ والثقافات المختلفة، لإبراز الموقف الأنثوي من المقدس، ومن ثمَّ تمكين النساء من اختيار أصيل في التعبير عن علاقتهن بالإلهي وبحياتهن الروحية، التي تتضمن كذلك حياتهن الجنسية، فلا تقصيها أو ترى فيها دنسًا من أي نوع".

"ترى غالبية النسويات أن الدين متداخل مع البنيات الأبوية وطرق التفكير الذكورية بشكل يصعب جدًّا التراجع عنه، إذ يهيمن الرجل عليها بشكل كلي لذلك، حاولت الفلسفة النسوية الحديثة وضع طريقة لبيان أن إيثار الرجل في النصوص الدينية وتفسيراتها، وتماهي المعتقدات والشعائر الدينية مع وجهة نظره، همَّشت المرأة وأقصتها عن مجال السلطة، واخترقت حياتها بطريقة جعلت منها غيرمستقلة وفي مرتبة أدنى منه".

–النسوية والدين

مقالات المرأة:

هبة الاستقلالية المادية



1 فبراير، 2021

تأتي كلمة هبة على الألسنة مؤخرًا للتعبير عن اجتياح الشيء، بطريقة قد تكون شمولية، عامة، تأخذ بها الكثير من الناس في طريقها، وكأنها تأخذهم كهبوب الريح بشكل عشوائي غير مخطط له على وجه الدقة، لسرعة الانتشار والتفشي.

هبّة الاستقلالية المادية لدى المرأة اليوم، نموذج عصري، يُبرز حجم الرغبة الفردانية، الاستقلالية، لإثبات الذات بعيدًا عن القيود، والتعقيدات، والنموذج التقليدي في الاعتماد على الرجل في النفقة.

أصبح العمل لأجل العمل ذاته، وتحقيق المنفعة المادية، حتى لو كانت العاملة لديها ما يكفيها في حاضرها ، ومن يهتم بتدبير مصاريف معيشتها، وذلك كي لا يكون ذلك الاعتماد بشكل كلي ..

يقول المثل الصيني"الرجل الذي يدخر المال، يصبح رجلًا حرا".

المرأة اليوم تدرك أن للمال قوة، وهذه القوة منحتها الجرأة لدخول قطاعات لم تدخلها من قبل، والجبروت في الدفاع عن اختيارها، مما جعلها في حالة دفاع مستمرة، أو لنقل في حالة الوقوع تحت تأثير السحر المادي، كما يقول باولو كويلو "إن للمال فعل السحر، مع المال لا يكون المرء وحيدًا على الإطلاق".

منحتها الاستقلالية المادية، شيء من التفرد والحضور اللافت، والهيمنة، وهذا الإشباع جعلها في تعطش للمزيد لأن كل زيادة منه تعني اكتساب نقاط أكثر تجعلها تعيش كما تشاء.

"إن المال قوة جبارة لا حدود لها قد تنتصر للملأ ضد العدم، والغنى ضد الفقر والحاجة والعوز والحرية ضد الجبر والإلزام والضرورة العمياء، لذلك أصبح المال هو المثل الأعلى لكثير من الأسوياء والمرض على حد سواء، ظنا منهم أن قوة المال قوة مطلقة تجعلهم متمكنين، متفوقين، ناجحين، وقادرين على كل شيء".

–صالح بن علي

هذه التغيرات الاجتماعية والاقتصادية، شكلت نفسية جديدة للمرأة، ترجح فيها التمرد على الصورة النمطية في التعامل مع الرجل، وتحاول أن تنمذج الشكل الذي اختارته على كل العلاقات، فكل امرأة ليست مستقلة ماديا ليست – فقط– قاصرة عن الطموح المهني العالي، بل وذليلة كذلك وخانعة لديهن، ولابد من محاربة هذا النموذج القديم الذي يعرقل فهم الأنا والآخر بالشكل المثالي.

الثقة التي اكتسبتها المرأة خلف العمل والقوة، كانت الوقود لحرب شعواء تؤدي إلى التخلي عن أي علاقة قد تكون مزعجة بالنسبة لها.

وهذا ما ضاعف اليوم نسب الطلاق فإن لم يكن (البحث عن الاستقلالية) العامل الرئيسي فهو من بين العوامل المسيطرة، على كلا الزوجين، وذلك أن المرأة لم تعد كالسابق ستسمح للمشاكل العميقة أو السطحية مدتها الكافية للعبور، إنما ستجتثها من الأساس لأنها ستفضل الراحة والرفاهية، والحرية، على أن تكون سُلّمًا لنجاح أسرة، تستطيع متى ما أرادت التخلي عنها والفوز بسعادتها ولذتها.

الاستقلالية المادية، سبب للتخلص من التبعية للرجل، فصاحب المال، المتصرف فيه، هو صاحب القرار في المنزل، وهي لا ترى نفسها إلا ندا له، وشريكا، فحتى لو تم توفير كامل احتياجاتها، ستطالبه بالمستقبل والذي لن يوفره لها إلا عمل مستقل، تريد الاستظلال به عن السير خلف هذا القائد.

"المرأة التي حققت ذاتها في عملها وتفوقت مهنيا تضيف إلى شخصيتها أبعادا جديدة تجعلها ترفض واقع التبعية للرجل، الأمر الذي يجعلها تفضل العزوبية على أن تخضع لإرادة الذكر الذي يستفيد من هذا التصنيف الاجتماعي لقيادة أمر الأسرة".

–عبدالباسط الفقيه

اللهاث خلف الأعمال – اليوم– لا يندرج خلف تطور الإنسان، وارتقائه في سلم الحضارة الإنسانية، بقدر ما هو في معظمه جري مستمر خلف الأهداف المادية، التي عرقلت مسيرة أهدافه الروحية، المتطلعة إلى الآخرة وسعادة الأبدية.

لم يعد الإنسان يفكر في مصير هذا الجشع، من خلال الرغبة بتحقيق نتائج خلف أخرى ليس لها إلا أن تسعده جسديا، وتضمن له الحياة الرغيدة.

أصبح مع الوقت انفصال واضح بين حياة القيم، وحياة المصالح، وضاع الكثير من الناس في دوامات دهست في دربها أطرافا لا علاقة لها.

البيت الذي يُهدم بسبب امرأة ورجل، لا يهدم فوق شخصين وانتهى الأمر، إنما يطول أفرادًا هم في غاية البراءة وقلة الحيلة والفهم لكل ما يدور حولهم عوضا عن العالم الخارجي.

فالمنزل الذي تدوسه المادية حتى تمحقه، هي تدوسه بكل من فيه، تعبر فوق جميع الأفراد، وتشكل من ركامها نفسيات مشوهة جديدة.

"إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة" متفق عليه

لابد أن تكون دفة القيادة لأحد الزوجين، ولابد أن يكون الآخر تابعًا له ووزيرًا، شاء أم أبى، لأنه حينما يأبى لا يكسب من تحدي الفطرة إلا خسارة الأمان والسكينة، وكسب نشوة سعادة موهومة، مصيرها الانمحاق لأساسها المزيف.

المجتمع الإسلامي تعاوني لا فرداني، السعادة تحقيقها مشترك، والتطلعات والهموم والقضايا، يعتمد فيها كل شخص على الآخر وهذا ليس في الأسرة الواحدة فحسب، بل على الأمة كلها، وحينما يتم التعامل بالأنا والصراع مع الغير، لن تهدأ موجات الصراع وستبقى ترددداتها تتذبذب فترة ليست بالقصيرة.

الاستقلالية المادية، صراع ضد الفطرة، وحاجة استقواء، وضمانة تحد، وذخيرة كماليات، ورصيد وهم، بمصلحة شخصية أنانية، لاتفكر إلا بأن تكون الحياة بحرية المزاج، لا حقيقة الظروف، وأن تبقى في لهاثها حتى لو حققت لنفسها واد من ذهب، لأن القوة أصبحت لا مشروطة، في زمن الحب فيه مقيد.

طاحونة العمل واستلاب سكينة المرأة



1 فبراير، 2021

"في بعض الأيام، أجد من الصعب أن أكون أما غير موجودة في المنزل. لكن، أحاول أن أنجح في عملي رغم أني أشعر بحزن كبير عندما يمسك أطفالي بساقي بينما أغادر المنزل إلى العمل".

–روزي بوب

الرأسمالية هدفها الأيدي العاملة، لا استقرار الأسرة وسعادتها، وتفكيكها ليس بالأمر المقلق لها، بقدر ما هو وسيلة من وسائلها لاستمرار تدفق الأيدي بلا رحمة.

وهذا ما جعل كثير من الأسر حول العالم، تنشد الراحة والاستقرار ولا تجدها في الأنماط المنعكسة لمثل هذا النظام الذي يخدم أهدافه.

أول مراحل التحول في عمل المرأة الغربية كان خلف الثورة الصناعية والتي كانت سببها هجرة الرجال للمدن، فكانت هي اليد البديلة عنه في الأرياف.

لم يكن الأمر مثير للبهجة، بل كان سبب تعاستها وزيادة الأعباء، ولم يكن عملها اختيارا بكامل رغبتها بل إلزاما لتخلي الرجل عن مكانه ومسؤولياته.

أما مفهوم عمل المرأة فتشكل عند إضراب عمال المصانع بسبب طول مدة العمل، فما كان من أربابه إلا إحلال المرأة لتسد فراغ نقص العمال لإنقاذ المصانع من الخسارة.

من هنا فتحت الرأسمالية قيود العمل التي كانت مقتصرة على الرجل، ولم تراعي مصالح المرأة في الأعمال الجديدة ولا اختلاف جنسها عنه وما يستلزم ذلك من فوارق تتطلب مراعاة كبيرة.

فالتاريخ العمالي الغربي يؤكد بأنها كانت الخيار الثاني عند ضعف الانتفاع من الخيار الأول (الرجل)، ودخولها لم يكن إلا رهينة مرحلة ضغط وضعف وظروف، ولم تخرج من أجل رفاهيتها المعيشية بل من أجل أن تكلف نفسها طاقة غياب، وتكون المنتج القوي في سوق لا ترى سوى المادة.

ظهرت بعد ذلك الكثير من الوظائف والتي مهمتها امتهان هذه المرأة لأقصى حد، واستغلال جسدها وأنوثتها لترويج أي سلعة .. ولم يكن العالم الغربي على رضى بهذا التحول السريع، وكان لهذا التحول ردة فعل من الكثير منهم ..

"إن الأسرة انحلت باستخدام المرأة في الأعمال العامة، وأظهر الاختبار أن المرأة تتمرد على تقاليد الأخلاق المألوفة، وتأبى أن تظل وفية لزوجها إذا تحررت اقتصاديا".

–برتراند رسل

"إن السبب الحقيقي في جميع مفاسد أوروبا وفي انحلالها بهذه السرعة هو إهمال النساء للشؤون العائلية المنزلية، ومزاولتهن الوظائف والأعمال اللائقة بالرجال في المصانع والمعامل والمكاتب جنبا إلى جنب".

–سوليفان

"لأن تشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاءً من اشتغالهن بالمعامل، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة رداء.. نعم إنه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال، فما لنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها".

–أنى رورد

"في الشرق تنام المرأة وتحلم، وتحقق ما تريد ؛ فالرجل قد وفر لها خبزا، وحُبّا وراحة ورفاهية. وفي بلادنا حيث ناضلت المرأة من أجل المساواة، فماذا حققت؟!".

–كريستين

"إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل، مهما نشأ عنه من الثروة، فإن نتيجته هادمة لبناء الحياة المنزلية، لأنه يهاجم هيكل المنزل، ويقوض أركان الأسرة، ويمزق الروابط الاجتماعية".

–ساموبل سمايلس

هناك قانون يجب الاعتراف به، وهو أن حدود الطاقة الإنسانية تتفاوت بحسب العمر والجنس والهبة الربانية، وأنه بقدر أخذ حيز من هذه الطاقة في جانب ما، سيتم فقدان الكثير منها في جوانب أخرى، فالمرأة لن تكون خارقة في سد تجاويف احتياجها في جوانب عدة في وقت واحد، وإن كانت قادرة على التغطية فسيكون مع التضحية بجزء كبير من الجودة، فمن تتقن وظيفتها ستخسر من وقتها ونشاطها مع أسرتها ولابد.

وهذا الحيز الآمن الذي تم استلابه من الأسر، كان في أن تخرج المرأة لتحقق ذاتها في أماكن ليست لها، وتنسى المكان الحقيقي لتحقيق الذات، في أن تكون أمًا بما تعنيه الكلمة .. فلا يوجد عمل هو أشرف للمرأة من تكون المدبرة لمنزلها، المسؤولة عن رعاية من فيه والاهتمام بهم.

وهذا بالضبط ما تم سرقته من الغربية، شعور السكينة والراحة، والأمان، ومعرفة الغاية، والإحساس بالانتماء، واستفراغ الجهد العقلي والنفسي في محله.

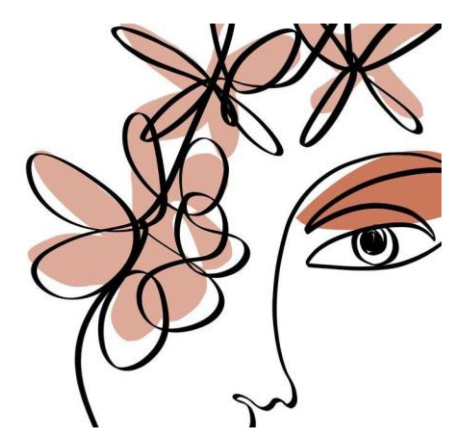
فمع ظهور موضة العمل في الفترة الأخيرة، والشعور بضياع البوصلة في حال غيابه، خرج عمل المرأة من الوسيلة إلى الغاية، فهي في هذا الوقت تشعر باضطراب فقدان الهدف إذا لم تخرج من منزلها، بل لا ترى مشوار التعليم ذا قيمة إلا إذا ارتبط بمهنة تدر عليها المال وتعطيها الإحساس بالأهمية، وإذا تغافلت المرأة عن هذه الأحاسيس رمقتها نظرة ازدراء مجتمعية، هل من المعقول أن تقضين معظم وقتك في منزلك؟!. ألا يوجد لديك وظيفة ما .. تحقق أحلامك؟!.

زعزعة ثبات الأنثى بمعايير مادية، جعلت منها تحتقر كل ما يرتبط بحقيقة أن تغذية روحها وعقلها أهم من تعبئة جيبها، وأنا الحياة لا تتعلق بوظيفة تمتص كل حيويتها وتبقيها كالجثة الهامدة عند دخولها المنزل.

هذا السباق المحموم على المظاهر والشكليات أول ضحاياه هم من شارك فيه، فهي الآن تحت سكرة الأعمال بصورها المتعددة، ولكنها غدًا ستصحوا وقد تكون صحوتها متأخرة، وسترى كالغربية أن هناك شعور ناقص وسط ركام هذا السعي .. وأن طبيعة الأشياء وصلاحها يتطلب استراتيجة ما إذا تم خرقها تم تشويهها.

هذا السرد لا ينفي وجود الأسر المحتاجة، التي تعمل نسائها لسد حاجتها حقا، وهؤلاء هن ضحايا تفريط رجل، أو نتيجة ظروف، ومستوى مادي، جعلهن في حالة بحث عن الاستقرار والأمان، وإلا فالقاعدة الأساسية أن عمل المرأة إذا لم يكن لحاجتها، فهو لاستنزافها من أجل رغبات كمالية، استهلاكية .. لا ولن تنتهي.

لماذا هي ليست جميلة؟



7فبراير، 2021

خلق الله النفس على هيئة فريدة، وجعل الأرواح تتشابه في أنواعها ولكن لا تتطابق، فالفرادة محور رئيس يستمد جوهره من جوهر الكائن الإنساني. فالإنسان نفس وصورة، والصورة لا تنفك عن ذات صاحبها، فحينما تراها تتوصل من خلالها لأعماقه إما معرفة أوشعورا ..

(كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه، عرفناه في وجهه)

(كان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه)

تعكس الملامح باطن النفس، وهذا الانعكاس يشبه تلافيف البصمات، فحينما تدقق، تسلبك الدهشة لتقول : يوجد شيء جديد هنا، يوجد ما هو حصري، وهذا من تجليات اسم الله (الواسع) الذي جعل لحكمته لكل خلق خواص، ولك مخلوق مميزات لا يشترك معه فيها غيره، حتى على المستوى الدقيق جدا.

لو تأملت بديع ما في الصور الشكلية من معانٍ، أدركت كم أن هذا الإنسان يعكس نفسه بطريقة رقراقة تنساب للأعين بمثابة الشفرات، ممكنة الفهم، وسهلة التمييز للمتوسمين.

دائما ما تقول التعابير الشكلية شيئا، بل وتقوله بشكل مختلف في كل مرة، وإني أجد أن من رسائل الحكمة في اختلاف الصور والتعبيرات أن يدرك الإنسان كم هو "حر" وكم هو مسؤول عن اختياراته وحده، ومطالب بها، ومحاسب عليها، فالتطابق سمة آلية ليست لهذه الروح السماوية ذات الكرامة والعناية الخاصة.

أنت أمام إلهام الروح المفكرة، المتفاعلة بالعقل، المستجيبة للانفعالات، المتأثرة بالرسالات، المختارة، المتحيزة، المتصدرة، المتكلمة ببديع الكلمات .. أنت أمام (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم). لذلك هذا التميز أول ما يريد الشيطان طمسه لأنه يذكره بكرامة آدم، كرامة الإنسان الأول الذي منحه الله امتيازات فقدها هو، وازداد خسرانه مع عصيانه، وازداد لذلك حنقه على ذريته، فثار في داخله تحدي الطمس

والتشويه .. (ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) ما الذي أزعج إبليس في صورتك إلى هذا الحد؟! لعله يعرف أكثر منك أنه لن يصل إلى تشويه الصورة إلا بتشويه النفس، وأن تشويه الصورة مؤثر في النفس كذلك، فهو عدو والعدو لا يقدم على عداوة من يجهل، إنما عن معرفة حقيقية. والصورة لن يختار تغييرها عبثا، فمن يعلم حق العلم أنه في النار لا وقت لديه للعبث، هو يريد منك هويتك، وتزوير الهوية جزء لا يتجزأ من تزوير الإنسان، بالتالي ضمان كائن جديد مزور، ومعزول عن خالقه بلبس ملامح مكررة، سميكة، بليدة، ليدخل بها لعالم بعيد يؤله ذاته ويعجب بها لحد التيه، إعجابا لا يريد خلفه أن يرى آثار خلق الله فيه.

حينما أتصفح صفحات المشهورات في برامج التواصل الاجتماعي، ينتابني هذا السؤال كثيرا، لماذا هي ليست جميلة؟. قد يبدو السؤال غريبا ولكنه حقيقي، فالصورة حينما تتدخل اليد البشرية للتغيير منها وتستمر في التغيير إلى درجة نفي الأصلية بشكل شبه كامل تمنحك عدم الارتياح، تشعر بأن فيها أمرا غير طبيعي، وأن صاحبها تنازل عن معانٍ أصيلة حتى تمكن من الحصول عليها. تنظر ببصرك فترى معالم مرسومة بدقة، وتنظر بقلبك فترى خلف هذه الدقة فوضى، وقلب مظلم. لا يستطيع التزوير إخفاء ظلام الروح خلفه.

وفي ظني أنها تعلم أنها ليست جميلة بشكلها الجديد المنتحل، فليس من المعقول أن ترى أن وجهها أصبح مهترٍ من كثرة الاستعمال والانتشار بين جنسها، وأن الشفاة الكثيرات أصبحن يمتلكن نفس امتلائها والذقن أصبح أشهر من اقتباس على حائط شارع معروف ، والتوصيلات في شعرها والرموش وتحديد الوجة والخدود المنتفخة والملامح المتورمة المعجونة بالمساحيق – وبنفس الطريقة- قد أصبحت صناعة نسائية تُشترى وتباع وتُنحت ويتم التلاعب بها ونسفها كتلاعب الصغار بالرمال على الشواطئ، ثم تتفاخر بها وهي موضع سخرية وامتهان؟!.

كنا في زمن سابق نتعرض لضغط التحديث على الملابس والاكسسوارات، أما اليوم فدخل التنميط كل شيء وتمت إعادة صهر العالم وتشكيله وفق كتالوج مستورد، يصمم مقاسات المرأة بالكامل، حتى كيف ينبغي لها أن تمشي وما الوزن الذي لا تخرج عنه، واللون ونوع الجلد ونوع الشعر وطريقة تناول الطعام والقهقهة ونغمة الصوت.

نسخ إبليسية تتكاثر كل يوم وتفرض حضورها لدرجة أن الفريد يحزن لفرادته ويرى أنه دخل دائرة مشكوكة، أو يعيش فوق كوكب الزهرة.

وللأسف تم ترويج القلق لما يحدث، بكثافة، ولأن الملامح مصهورة ومكوية ومنمقة بترف أصبحت الشيخوخة هاجس المرأة أو أن تخرج
عنالصور المحددة في كتالوجها المفروض، فتضطرب، ولا تهدأ، وتتساءل لماذا لم يعد هذا العالم يقبلني كما أنا؟!.

قلق الملامح ولد تساؤل بصري، نوعي .. هل يحتاج الجمال إلى برهنة؟. هل عمليات التشطيب والحذف والإضافة، تعكس جوهر الإنسان وقيمته؟. بالتأكيد لا، ومن نعم الله أنه هو موزع الجمال، وإذا تدخلت يد مخلوقة فيما هو ليس إلا له وحده محق عملها بركته، وخرج التحسين تقبيحا، وقد لا يشعر الضحية بهذا لغبش الرؤية أمام عينيه. (زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون).

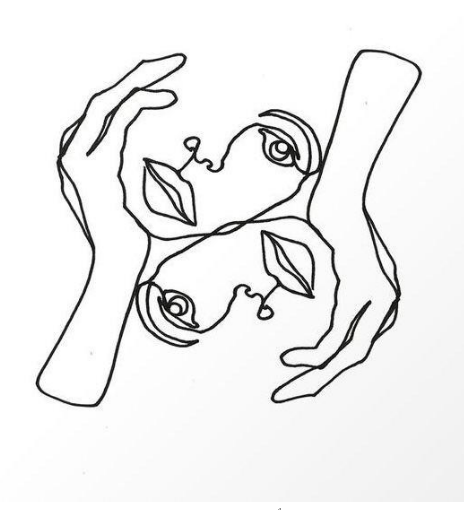
الغرق في الشكليات والمبالغة الشديدة في التجمل وطمس الصور الأصلية يخلق الحواجز بين الأرواح، ويعزل أصحابها في صناديق تضعف معها الفصاحة ولغة التواد والتآلف، يرتسم البغض رغما عن تصنع الشفاة وتترهل العواطف ويصيبها من برود البعد وأخلاق الصور الجديدة. وإذا كان اللباس يؤثر على شخصية اللابس، فما بالك بمن يلبس وجها جديدا يمحو به القديم؟!.

توجد مسببات لانشراح النفس؛ لصاحبها ومن حوله تجاهه، من تلك الأسباب طبيعيته، لذلك دائما ما يجذبنا صاحب الشخصية الطبيعية والشكل الطبيعي الصادق المنسجم مع ذاته، وهذا ما يفقده أصحاب التزوير الشكلي "فقدان الطبيعية"، حتى انعكاس الروح على الملامح يبدو مشوشا مضطربا كأنه خرج من ذات مسحوقة أو آلة متحركة، لا تشعر بأن ابتسامتها من قلب، أو أن الحزن بادٍ عليها أو الفرح والرضا والحب .. معزولة متصنعة مفبركة بشكل مستنزف.

لماذا لا أراها جميلة؟!. لأنها ليست جميلة حقا، استجابة لصناعة إعلامية، وضغط الصور المقبولة، والموضات، تنفخ هذا العام، وتفرغ ما نفخت العام المقبل، تصل شعرها هذا الشهر، وتفصل ما وصلت الشهر القادم، تظهر هذا الأسبوع بلون فضي، والأسبوع القادم، بنحاسي أو ذهبي، متلونة كالحرباء، ممجوجة، تعيش بجسد دمية ويستهويها التلاعب البصري وتداعيات الحركة، وكل هذا على روح كالجثة هامدة.

---.

هوس الجمال



1 أبريل، 2021

الهوس، طرف من الجنون وخفة العقل. نزعة لا تُغلب، توق شديد، تنقل سريع مضطرب. في الهوس لا يكون المرء على طبيعته، تدفعه رغبة لا يملك مقاومتها، تستولي على عقله ووجدانه وتتحكم فيه، لذلك هو رسول الانهيار في الحاجات التي تثيره، وسيلة البقاء في أفكار مضخمة تُضخ في عقل المهووس وكيانه حتى كأنه لا يوجد غيرها، فلا ينظر لجوانب الحياة الأخرى بقدر ما يشده ذلك الشيء الذي هوس به، ولا يجذبه شيء بقدر ما يجذبه ويستدعي انتباهه.

أما الجمال فصفة الحسن والفتنة، دافع من دوافع سرور النفس لشعورها بانتظامه وقدسيته، فهو سحر وبهاء، ورونق متناغم، فأن تحكم على جمال شيء أنت تحكم بحيازته لشيء من الحسن والتناسق، وإذا كان في المرأة كان حسن ودرجة رفيعة من الزين، ألبسها الله إياها.

لماذا الهوس بالجمال بالذات؟. لأن النفس –
وتحديدا المرأة– فطرت على حب الحسن والأحسن، تتطلع باستمرار لأن تكون المنافسة الدائمة فيه، فمتع الحياة وبهرجتها سماها الله "زينة" والمرأة التي هي من زينة هذه الحياة وصفها بأنها منشأة في "الحلية" والحلية
هي الزينة، فهي لا تستطيع العيش بلا زينة، تُزين طفلة، شابة، في زواجها، بيتها، أمام الناس، وقد لا تفارقها الزينة بحال من الأحوال لما تَكْمُل به منها، وتدعم به أنوثتها، لأن الأنوثة تستمد قوتها من حسنها، ولا تكون بالشكل الآسر حتى تكون على الشكل الجميل، فلا أنوثة بلا جمال، ولا أنوثة بلا تجمل. ولكن في حالات قد تخرج حالة التجمل عن وضعها الطبيعي وتدخل في دائرة الهوس التي تستدعي منها أن تحاول التحسين بشكل هوسي مضطرب، فتستغل ما تصادف من أدوات للتجميل بما يوافق إمكانيتها المادية وقد يتجاوز هذا طاقتها الجسدية لما ترغب فيه من التحسين الأسبوعي أو الشهري ولنفس الملامح والتفاصيل فتبحث ما تغير به طبيعتها لما يتفق مع أذواق المجتمع الجمالية فتجري باستمرار خلف

التعديلات التي قد تضر الجمال نفسه من حيث لا تشعر لأنها واقعة تحت تأثير الهوس الذي لا يريها حجم الضرر بالشكل الكافي .. "الغيرة تزيد حماس السيدات، كما أن الوضع المادي يلعب دورًا سيئًا، كونه يساعد على التغيير الخارجي بسرعة". (١)

تنصاع المرأة لتأثير الدعاية في ذلك، وقد يشدها النهم إلى التشكيل المستمر لمظهرها بما يتفق مع السائد والمنتشر حتى دون مسائلة داخلية، هل هذا ما أرغب به فعلا؟!

"إعلانات الجمال تلعب على فكر الفرد خاصة إذا كانت شخصيته هشة تتقبل الايحاءات كما أن عدم النضج والوعي يدفع الفتيات إلى مثل هذه الخطوات التي لها آثار اجتماعية تظهر في نشاطاتها الاجتماعية والوظيفية والمدرسية والأسرية". (٢)

وهذا المنتشر في صف النساء من أسبابه الرئيسية السعي الدؤوب إلى الكمال، أما محددات الكمال بالنسبة لها ما يشرحه الإعلام بمظاهر السيدات فيه، فهي لن تخرج عن الجو العام والسائد الذي تم تعزيزه – أيضا– في مخيلتها وأعماقها حتى أثناء الحكم عليه وليس لاختياره فحسب. فلن ترى أنها على مستوى عالٍ من الجمال وإن كانت تتحلى به حتى يرتبط بالنموذج العالمي المثالي. لذلك تُزْهَق الكثير من النساء ويعانين الإحباط إلى أن يصلن إلى ما يردن، ومشكلة الهوس أنه لا إرضاء له، فلا يتم الرضى أبدًا، وإن حصل الثبات على مستوى رفيع، ذلك لأن الرضا يعني الثبات، ولا ثبات في جمال اليوم فهو مضطرب باضطراب السوق الاستهلاكي وحاجته، والصور التي يرشحها للبروز فيه كل مرة.

"بدأت تلك الثقافة مع انتشار واسع ووفرة للسلع الاستهلاكية في الحياة اليومية للناس من مختلف الطبقات الاجتماعية، وأشعل هذا الاستهلاك تغيرات الذوق العام في الأزياء والمظاهر، ورسخت من خلال تطوير البنى التحتية والمؤسسات والممارسات التي استفادت من الأسواق الجديدة، مثل: الإعلانات، والتسويق".(٣)

"تتلاعب الإعلانات بـ«صورة الجسد» فتضع الناس تحت ضغط صور مثالية، ثم تقدم عروضا ترويجية للجسم بإفراط في التبسيط والتخييل، تصور تقنيات التخسيس وجراحات التجميل والملابس وأدوات الزينة وغيرها على أنها ستجعل الناس ينظرون للشخص نظرة مختلفة، وستسهل طريقه للمتعة المنشودة ".(٤)

ومما يحفز عدم الرضا هو ارتفاع سقف المثالية، فهي تملك تصورات مبالغ فيها عن الشكل الخارجي المنشود وستسعى له بكل اندفاع، ومما سمعت وقرأت خوف كثير من البنات من الشيخوخة وعجزهن أمام طرد الأفكار السوداوية تجاهها رغم أنهن في أول مراحل الشباب، مما جعلهن في حالة هوس تجاه الاهتمام وتوجس شديد من مرور الزمن وكأن الزمن عدو لا آلة امتحان. وكأن الحياة كلها في هذه الدار. ولكني أجد العذر لما تتعرض له المرأة من خلال ترويج النماذج البصرية عليها باستمرار، فهي ترى أن لذة الحياة ومتعتها لن تكون إلا إذا كانت على درجة خيالية من الجمال والنضارة الفائقة طوال الوقت، مع سحبها لأوضاع النساء المروجة – وهن بكامل زينتهن بتضليل وإخفاء للعيوب- على حياتها الخاصة بحيث تشعر أن مجرد استدعاء ظهور علامة صغيرة دليل على أنها لم تعد تصلح لشيء، وأن السعادة ستفارقها للأبد.

يوجد ضغط شكلي يتم به تحطيم الكثير من النفسيات التي تعودت أن تراها بابا للذة والفرح، وأن فقدان جزء منها ما هو إلا بداية البؤس والشقاء، مع أن لكل مرحلة عمرية طابعها الفريد، وكل تفصيلة في الشكل تحمل من الدلالات ما يعجز عن فهمه صُنّاع الجمال الوهمي، الجمال البلاستيكي، الذي يختزل المرأة في الدمية، ويلغي الروح وانعكاسها بنورانيتها وجاذبيتها وفرادتها.

"إن الملامح التي تبيح أسرار الذات المعنوية تكسب الوجه جمالًا وملاحة مهما كانت تلك الأسرار موجعة وأليمة. أما الوجوه التي لاتتكلم بصمتها عن غوامض النفس وخفاياها فلا تكون جميلة مهما كانت متناسقة الخطوط متناسبة الأعضاء". (٥)

"الجمال هو ما نراه فنودّ أن نعطي لا أن نأخذ. هو ما نشعر عند ملقاه بأيد ممدوة من أعماقنا لضمّه إلى أعماقنا. هو ما تحسبه الأجسام محنة والأرواح منحة. هو أُلفة بين الحزن والفرح. هو ما نراه محجوبًا ونعرفه مجهولاً ونسمعه صامتًا".(٦)

هذا الجمال ليس موردا للاستهلاك، أو موضعا للهدم والإنشاء، هو امتزاج بين نقاء روحي خالص، ومسحة جمال ربانية صافية، يستمد الوجه نضارته الأبدية مهما تقدم العمر، وتستمر جاذبية الشكل والروح وكأنها تغتسل بأنوار السماء كل عام، المهم جَمِّل قلبك وركز في العناية به وهو لن يخذل صورتك.

(١)،(٢) مقالة هوس التجميل ماذا يقول علم النفس.

(٣)،(٤) مقالة غزو ثقافة الاستهلاك لمجلة البيان.

(٥)،(٦)جبران خليل جبران.

مقالات النفس:

الاتزان النفسي في عالم يموج



1 فبراير، 2021

الاتزان النفسي أو الثبات الانفعالي هو حالة من التوازن والاستقرار العاطفي، الشعوري، تجاه تقلبات المحيط السريعة والمضطربة.

حالة من حالات التماسك المستمر وتقديم الرضا على التسخط وتجنب الاختلال في المستقبلات النفسية –المؤثرة على الفعل أو ردة الفعل– المنهكة للجسد والروح.

أهم ما يحتاجه الاتزان النفسى لتستقر وتيرته على خط من التموجات الصاخبة، أن يكون بمتانة إصابات العوامل المتوترة، والمفزعة للسكون والبهجة.

فالعمل على المستويات الدنيا لراحة النفس، يتطلب في المقابل تركيز ودقة في رصد الهجوم الخارجي ومدى قوته لمقاومته بنفس القوة، أو ستصل إلى حالة من الفتور المصاحب للاستسلام المبكر، فتتحول من منفعلة باعتدال للمثيرات إلى معتلة بالانفعال على هوامش التأثيرات، وهذا إنما يدل على أن الإنسان قد يكون في حالة ما كالاسفنجة فعلا باختلاف أنه إذا أخرج ما بداخله كان ذلك بشكل غير متوقع.

وإذا كان الإيمان بحاجة إلى جهاد حتى يثبت أو يزيد، لا شك بأن استقرار النفس تابع من توابع استقرار الإيمان، الذي يستند على رواكز معرفية لابد وأن تكون صلبة.

"والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله" ، "كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم"

فجهاد النفس يتدخل في ما تتطلبه النفس من الاعتدال والاستمرارية التي تحتاج عناية خاصة حتى لا تفقد أهم خواصها الإيجابية الفعالة.

"..وطيب النفس من النعيم" –صححه الألباني

فالنفس تصح وتعتل وعلتها تعطلها عن مناشطها، وتقيدها عن كل نافع لها في الدنيا والآخرة.

والثقة بالله والإيمان به، وبذل الأسباب، والتوكل عليه من أقوى ما يعين على راحة البال بشكل دائم.
"والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم" فصلاح البال هبة ربانية، يمنحها من يستجلبها من عباده، بالإيمان الصادق، والعمل الصالح.

"ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه".

من مهددات الاتزان النفسي، صعوبة الحصول على قرار بخصوص السلوك الأمثل، أو الطريق الأكمل، أو التوهان بين المتشابهات، والضياع بين المسميات دون التوصل إلى قرارة حقائقها.

عندما يشعر الشخص أنه يتلقى باستمرار، وليس لديه الاستعداد لذلك مسبقًا، فيبقى في كفة الحيرة أو الضغط على مكتسباته
المحدودة، ليفقدها كلها وفي أحسن الأحوال يكون مكتوف اليدين عن فعل شيء يناسب هذا الكم الهائل والمتداخل من المعطيات.

نحن نحيا في عالم فوضوي، كثيف، يخلق طبقات على الوعي المستقر الهادئ، ويقلق سكينة النفس بشكل يجعلها في حالة مستمرة من الاضطراب أو النزوع حول العنف، والشك، والإساءة في الظن.

"الحياة السائلة حياة محفوفة بالمخاطر يحياها المرء في حالة من اللايقين الدائم. وأشد هاجس يساور المرء في تلك الحياة هو الخوف
من أن تأخذه على حين غرة، ومن الفشل في اللحاق بالمستجدات المتسارعة، ومن التخلف عن ركب السائرين، ومن إغفال تواريخ نهاية الصلاحية، ومن الاحتفاظ بأغراض مهجورة، ومن فقدان اللحظة التي تدعو إلى تحول في اتجاه السير قبل عبور نقطة اللاعودة".

–الحياة السائلة / زيجموند باومان

تستوقفني كارثية المشهد المتلاحق، المنحدر من أساسه كلوحة مائلة يُخيل إليك أنها تسكب ما في داخلها من صور، رفضا منها لهدوء الثبات، واستقامته. وهذا الرفض قد يتطور في واقعيته إلى أن يكون حالة من الهيجان والصخب.

"فالحياة في المجتمع الحديث السائل هي نسخة مخيفة من لعبة الكراسي الموسيقية تحولت إلى واقع حقيقي. ويكمن الرهان الحقيقي في هذا السباق في النجاة المؤقتة من الاستبعاد والإدراج في صفوف الهالكين، ويكمن كذلك في اجتناب الإلقاء في سلة المهملات".

–الحياة السائلة / زيجموند باومان

هذا العصر ميدان القلق، حالة التوتر من مظاهر الحياة اليومية، وقد يكون للظروف الاقتصادية، الاجتماعية، المعرفية، السياسية. الأثر البارز في النفس البشرية، إما باكتئاب وصعوبة تأقلم، أو تقييد للروح ..

"فالإنسان المعاصر يحتاج إلى وقت يستطيع معه هضم واستيعاب التطورات، بشكل يوازي معدل سرعتها ونموها، مما يضعه يوما بعد يوم إزاء المشاكل والهموم التي تفرضها هذه التطورات، وينشأ نتيجة لعدم التكيف السريع المطلوب نوع من الصراع النفسي، وهو أحد أهم مظاهر القلق والاكتئاب".

–القلق والاكتئاب داء العصر / محمد فرج

عملت التكنولوجيا – خاصة برامج التواصل– على إظهار مشكلات نفسية منها الأرق والاكتئاب والخوف الزائد والتشتت والتوتر والقلق وضعف الدافع وتحرك الهواجس والوساوس السيئة.

يتلقى الإنسان الكم الهائل من المعلومات يوميا وبشكل متضارب أو متناقض أو على مواضيع كثيرة مما يؤدي إلى تسريع وتيرة الأحداث والحياة مما يصعب على الشخص الفصل بينها أو التفكير بدقة، أو التفكير فيما ينصب في إنجازه الخاص، فيبتلعه بحر هائج ومتلاطم من النوافذ المفتوحة على كل شيء، حتى لو كان لا يجيد العوم أو يملك فرص واقعية للنجاة.

يؤثر إدمان البرامج على مستوى التركيز والنوم واستقرار المزاج، بل والتحكم بالذات وحسن إدارتها، مما يجعله كالورقة في عرض الريح، مرة على الأرض، وأخرى في السماء.

ومن أبرز خواص التقنية أنها تعمل على الجذب الحسي مع التشتيت النفسي في نفس الوقت، فالمرء يجد نفسه منجذب إلى هذا العالم بشدة، رغم أنه ليس مرتاحا ولا سعيدا، يريد أن يفارقه ولكن لا يستطيع، وقد يدخل لهذا العالم بهدف، ويجد نفسه يعمل على هدف آخر لا يشبه الأول، وقد يصعب عليه الاندماج بشكل طبيعي مع الحياة الواقعية مع مرور الوقت.

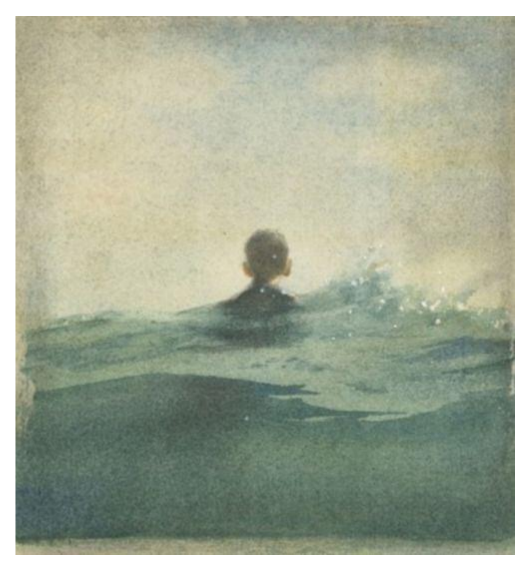
"إننا نعيش في عصر الخوف والسلبية والأخبار السيئة، فلا سوق للأخبار السارة، لأنه ليس هناك من يهتمون بها. وهذا هو ما يؤدي إلى الانتشار الشامل للذعر وصناعة الخوف، ومع أن بعض التعليقات تكون ثاقبة ومنطقية أحيانا، فإن أغلبها هستيرية وسوداوية".

–الشر السائل / زيجموند باومان

"في هذا الزمن، ينتابنا شعور بعدم الأمان في علاقاتنا، وشعور بالقلق بشأن الصداقات الحميمية، ونلتمس في التكنولوجيا طرقا حتى ندخل بها في علاقات، وحتى تحمينا من العلاقات في الوقت نفسه".

–المراقبة السائلة / زيجموند باومان

اغتراب الروح



25 مارس، 2021

قلب الإنسان مستودع أسراره وأفكاره وعواطفه التي يحركها أكثر من باعث، ويستثيرها أكثر من مثير، ويصنع من مواقفه انتماءات، ويخلق من ركام الذكريات توتر الحنين، وانتفاضة الشوق والرهبة والرغبة والغربة ..

لا شيء يربط الإنسان بحاضره وماضيه قدر معرفة الذاكرة، وانطباع التاريخ بتفاصيله في العقل والوجدان واستدعاء صورها لتبوح بقصص الاستمساك بهذا الحبل الممتد والقادم من بعيد، منذ الإنسان الأول وشعوره بأنه لم يعد من أهل السماء بل من سكان الأرض، وأن التحولات أكبر نقلة كانت له منذ أن انبثقت آثار الحياة فيه.

حينما هبط آدم، أدرك منذ الوهلة الأولى أن طبيعة الأرض قاسية، حتى التنعم فيها مشروط بالكثير من الشروط الصارفة عن اكتماله، فيغدو الحب مدعوما بما هو خارج عنه ليبقى، والوفاء محاوط بطاقة تحتاج منه البذل، والعطاء تعوقه أزمنة الشح ومطبات تحويل المسار. أدرك أن خشية الأول، مع صعوبة السبق بالسير على الطرق غير الممهدة، وحداثة العثرات المصاحبة، تحثه في كل ذلك خبرات لم ير ثمرتها بعد، فيبدأ ويُعَلّم، ويكون الفلاح والراعي والتاجر وصاحب الثمرة متنقلا في أدوار فرضها عالمه الجديد والذي هبطت معه دوافع الاكتشاف مغلفة بقدرات تشابه صعوبة هذه الحداثة التي في قلبها مكتوب "أن النهوض مستمر" .. فإمكانية الانسجام مع كل ما يواجهه، ومعرفته بأنه ما خلق للشقاء، وأن بداياته مرآة للنهايات، تميزت مرحلة جزءها الأول تعب والآخر تضحيات قادتها معرفة.

كانت في بداية استقبال الأرض بركة منح لا تتكرر في الأزمنة، تنقل الإنسان في أحضانها عالما بأنها تحاول أن تجذبه للموائمة، فالتكيف كان بحاجة منها إلى استسلام، واستدراج بالعطايا حتى ينسجم مع قصته ويكتب معها سطره الأول بجرأة من عرف اللذائذ بقلب طري لم يتصحر بعد ..

غاص القلم في بحر من الحبر وكتب على جبين الوقائع، أن هذا المخلوق لا يسعد إلا إذا اقترب من طبيعته أكثر، وتشكل بالشكل الذي يناسبه حقا، فعرف حينها أنه لا يستطيع التمثيل وإن أجاده كموهبة قابعة فيه ، فهو يعتلي المسرح ومع ذلك يختنق إذا عاش نفس الدور خارجه، أو استمر بأن يكون الممثل يطارده الجمهور في كل مكان، وكأن هالة الحزن تقول بأن الابتسامة منتحلة والقلق فيه الأصل.

لا يملك هذا الإنسان أن يراوغ حقيقته، لم يُخلق كائن الليل للنهار ولا مخلوقات البحر لليابسة، ولا ما وجد لهذا الكوكب لما هو في السماء، تتجلى الطبائع فرض إلزام وتثبيت، فيبقى ما هو عليه لما هو عليه كما وجد عليه، وإن تزعزع شيء عاد إلى الأصل بعد زوال التأثير أو تحرك من حيز الراحة والسكينة إلى محل الفوضى وانحسار الطمأنينة والأمان. ولذلك يقلق ويضطرب ويغترب.

اغتراب الروح لا ينفصل عن اغتراب اختيارات الإنسان فحين لا يميز بين ما وجد له وما كان وسيلته وبين ما هو غايته وانتهاء محطاته أجمع، ثم يجمع من هنا وهناك ما يرقع به ثوب حياته حتى لو لم يشاكلها، فيتمزق به الثوب ولا تحمله قواه، ويعرف أن الغربة تطول الأرواح كما تطول الأزمنة والأمكنة. فيخفق كثيرا، وينسى أنه أهبط من جنته، وأنها في انتظاره لاعتلاء الضوضاء وانغماسه فيها حتى لم يعد يسمع أي صوت في أعماقه يقوده لها.

تتحطم جميع الصخور أمام جبروت طغيان المادة، فيمد الغريق يده متشبثا بسبل النجاة التي هي للهلاك، ولا يخرج من أنقاض وقته إلا بركام ما لا يحتاج فيجعله يغرق أكثر. فمسيرة من بدايتها لم يكن في الحسب ان هذا الهلاك، وإن حصل كعارض لم يستشعر أن نفس الوسائل التي يهرب بها هي التي تزيد من إيغاله. وهذه مفارقة أخرى من سوى مفارقة ابتعاده عن جوهره ليسعد فيشقى. وعلى ضفاف تقصي الواقع تلامسه ضرورة التغيير وهو لم يتعلم بعد أن التغيير إن لم يتبع وجهته الصحيحة كان سببا لفقدان جديد.

الإنسان حينما يطلق العنان لنفسه، تستولي عليه رغبة الكمال، تعجبه أقصى الحالات فلا يرى من المساح ات الشاسعة، واللذائذ، والجماليات إلا حقوقا، لا تكتمل حتى لو اكتمل نصيبه منها، لذلك لا يملأ عينه شيء، ويبقى رهين الطلب، ولعل هذا ما يجعل من منغصات السقم والألم فصلا يحتاجه ليشذب به زوائد تطلعاته، والتي كان من بين أكبر سلبياتها أن أخرجته عن بشريته إلى آليته. وجعلته نسخة من نسخ كان ظنه منها الاختلاف فتاه في محيط لا نهاية له من التشابه. وكيف لا يتشابه من هو تحت رحمة الصور والأفكار حولها حتى استعبدته بزواياها الحادة، وحدودها الفاصلة بصرامة، وتلقائيتها اللاتلقائية، لدرجة توقع جميع الاحتمالات والحركات والأشكال قبل معرفتها.

غالب ما ينتاب هذا القلب الحي يدور في فلك "الأحسن" أي الصور أحسن، أي الطرق، أي المستغرقات، ولا يكون هذا البحث لأيها
"أجدى" فيعود بالحرمان كما ذهب، ويمشي النقص خلفه كظل. ومن هنا تأتي رحمة الفهم لحقيقة الروح والحياة وأنها على خط سير عظيم كان منذ تماس القدم التي دخلت عالمها السفلي، ورأى الكائن البشري أنه أتى لأسباب محددة لن تطول ولن يطول معها بقاؤه، لذلك عليه أن لا يشقى كثيرا فيما لم يُسأل عنه، ويتمالك نفسه أمام طفح خفيف لمسرات عاجلة، لو التهمها بكل قوته التهمته بكل شراستها وفَرّط بفرصته الأخيرة لتصحيح خطه الأبدي ..

من الشقاء العاجل أن تستلهم النفس مما يسرق من ركودها الإيجابي انجذاب لما سيكون سببا لعذابات مبطنة، فيأخذ صاحبها وسائل التسارع والشحن والضغط والتشويه والتدمير على أنها منح جاءت لإسعاده في رتابة أيامه، فيغضب على ما لا يستحق الغضب، ويبكي على هوامش لا يستقبلها أي كتاب كوني إلا في أدنى الدرجات، هذا بالإضافة إلى الصراعات وقوالب التشويه المتكاثرة وطمس الحقائق ونزع الكلمات عن معانيها وقلب الأفكار والمهمات لدرجة انتكاسة تستعصي على طبعه الفطري أن يفسرها، فلا يدري بأي الشرور يبدأ من مجملها أم تفصيلها الدقيق الذي قاد للمجمل وعكر النقاء بكامله.

لا يصمد لما يحدث لكائن اليوم كائن الأمس رغم صلابته، فهو لن يفهم كيف انحدر كل شيء وتشرذم عن ذاته بصور يصعب تفكيكها، سيبقى عالقا في نقطة (كيف حدث كل هذا؟ أيعقل أن يضر هذا الإنسان نفسه بنفسه، وفوق هذا يبتسم؟ ثم لن يتجاوزها لأنها الأساس في كل ما يحصل، فمتى ضر الإنسان نفسه، ولماذا يضرها بهذا البرود، يعني على وجه الدقة متى تحجر قلبه في أي وقت؟

تستوقفني الكثير من العبارات لتجسيد مأساة الجسد والروح وألمح التشابه بينها، كأن الإنسان يئن في كل مكان من نفس المرض. فهو يشكو الوحدة، يبكي السرعة، يتأوه من عدم الفهم، ينادي لمن ينقذه من أوجاع الحيرة المزمنة، وتدمع مُقَله على رؤية صور الانفصام بينه وبين صفاء الطبيعة الوادعة. يتلوى ولا يجد المهرب، ضحية سعيه الدؤوب في فجاج شاسعة تأخذه إلى الحيرة واليأس، ثم يعود لنفس ما توارى عنه بذاكرة تقوده للحظة
تصديق الشيطان حينما حلف ولم يكن يتصور حينها أنه سيحلف كذبا، وها هو اليوم يحلف له في اليوم أكثر من عدد أنفاسه ويجزم له بسعادة تخفي خلفها سبب اغترابه الجوهري.

ومما لا شك فيه أنه إذا فقد إيمانياته كلها وزاد ضغط الجذب وترائى له حلف الشيطان في كل خطوة لن يتحمل بقاؤه على هذه الدنيا سيرغب بانعتاق الروح عن الجسد بأي ثمن، المهم أن تخفّ عن أحمالها وتطير .. ثم كتوقيع أخير .. لا تطير ! هنا المأساة الأبدية ..

"لماذا يصبح الناس نفسيا أقل شعورا بالاكتفاء عندما تتوافر لهم متع الحياه المادية أكثر من ذي قبل؟ لماذا تزداد حالات الانتحار والأمراض العقليه مع ارتفاع مستويات المعيشه والتعليم؟ ولماذا لا يعني التقدم مزيدا من الإنسانية أيضا؟"(١)

"تتألم الروح مثل الجسد .. في بعض الأيام تظهر جميع الندوب على الروح، وكل الأوجاع القاسية، والتي هدأت مع مرور الوقت، كما تظهر قبل الأيام العاصفة، بعض الرضات القديمة، أو يتوجع العظم من ضربة كانت قد حدثت أثناء الحياة الطويلة، ونسيت ... في تلك الأيام تكون بمزاج سيء، ومحاصرا بذاتك وروحك التي فتحت جروحها، لكي تذكرك بأن لا شيء يضيع ولا شيء يختفي حتى أقل الآلام والذكريات البشعة .. إنها تخبو فقط، وتنسحب إلى أعماق مجهولة، كما سوف تنسحب هذه المرة، وسترونها بأعينكم في المناسبة القادمة".(٢)

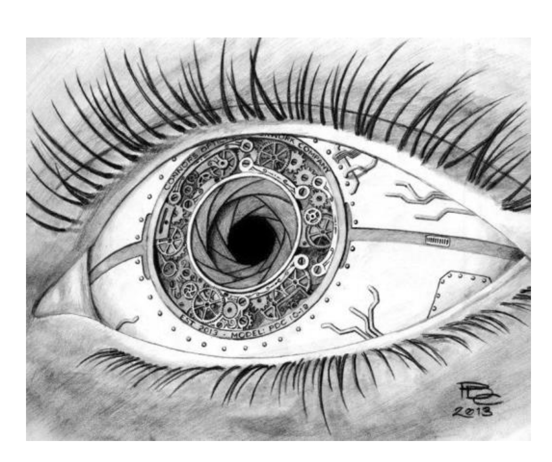
"إن الحياة الإنسانية تكتمل فقط عندما تشتمل على كل من الرغبات الحسية والأشواق الروحية للكائن البشري. وترجع كل الإخفاقات الإنسانية لإنكار الدين الاحتياجات البيولوجية للإنسان أو لإنكار المذهب المادي لتطلعات الإنسان الروحية". (٣)

"إذا صح أننا نرتفع من خلال المعاناة وننحط بالاستغراق في المتع، فذلك لأننا نختلف عن الحيوانات. إن الإنسان ليس مفصلا علىطراز داروين كما أن الكون ليس مفصلا على طراز نيوتن". (٤)

(١)،(٢)، (٣)، (٤) علي عزت بيجوفيتش

مقالات الفكر:

ضغط المادية



2 فبراير، 2021

في عالم تحكمه الصورة والألوان، ويستشري تأثير تداعياتها في الأنفس، تتحكم البرامج الأعلامية المُسيّرة، بترويج الأفكار على الطرق الشكلية، البارزة، لتُظهر الفكرة بالخط العريض خلف النمط المرسوم للناس.

تأمل بسيط – يكشف مدى الضغط على قلب هذا التابع في آخر الزمان– في حديث رسول الله ﷺ : "يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا، ويمسى الرجل مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل". واصفا وقت التمسك فيه غاية الصعوبة، لغربة الإسلام أمام طوفان وسائل الجاهلية.

طغيان المادية اليوم على القيم، يجعل الشرائع في موضع ضغط ومحاصرة، وتهديد يستعبد الجوهر الإنساني، هذا الجوهر الذي جاء الإسلام لتهذيبه وتنقيته، وصقله.

أن تكون المادة هي الحاكمة للإنسان وطبيعته، مأزق يقع فيه مسلم هذا العصر، وذلك أن الفلسفات المادية المهيمنة، تسير في إطار نسبي، وتلغي خاصية الإطلاق، وهذا يعني غياب القيم المطلقة.

المنهجية الغربية المادية، خلقت نموذجًا، يسعى لتسوية جميع الحضارات، وربطها الحثيث بالتقدم، الذي أدى إلى تقبل كل فكرة جديدة ملوثة، بحجة الحداثة والتطوير (الذي يعكسه القانون الطبيعي المادي).

فانتشار الدعوة الغربية عالميًا، ونشاط وسائل ترويجها، جعل الدعوة المادية دعوة عالمية، يتم لأجلها إقصاء كل من يخالفها، وأتى من ثمرتها الكثير من الدعوات والتجمعات، والمبادئ الغربية، والأفكار التي لم تكن لتنتشر لولاها، بل وتم تسييسها باسم حقوق الإنسان، وهي حقوق – إنسانية– طبيعية يراها الغربي بمنظاره المادي الذي يُقَيّم به.

خطر هذه الدعوات لم يتوقف، بل زاد في الآونة الأخيرة، واخترق أكثر المجتمعات محافظة على القيم والتعاليم الإسلامية.

ولا عجب –بعد ذلك– أن تقرأ حديث النبي ﷺ عن باعث من بواعث الغفلة، ويكون هذا الباعث مادي صرف "ومن اتبع الصيد غفل". (أي من جعل همه متابعة الصيد في البراري والشعاب فإن العادة غفلته عن الحساب والجزاء في الآخرة، واشتغاله بما يهتم به من تتبع الصيد فيغفل عن الأعمال الصالحة وينشغل عن الصلاة والتهجد والصيام والذكر ونحو ذلك، ولعل هذا يختص بمن جعل وقته كله لتتبع الصيد في الفلوات، وابتعد عن القرى والمدن وعن العلم النافع والعمل الصالح). –عبدالله الجبرين

أما من اتبع سبل الحياة المادية، فلن يغفل وحسب، بل وقد ينسى – مع الوقت– الغاية العظمى من وجوده، وأنه عابر في رحلة سفر قصيرة.

لذلك من المطالب الشرعية العمل على الموازنة بين القيم الروحية والمادية، بأن لا يطغى جانب على جانب، حتى لا يترك خلل كبير في حياة المسلم ينسيه الله والدار الآخرة.
"وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا" هذه هي الوسطية المطلوبة، انسجام بين الرغبات المباحة، وتعلق مستمر بالغايات.

أما حينما تطغى سبل الحياة على الحياة نفسها، سيؤدي هذا إلى العبث حتما " الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد"، دائما أي (ركون مادي)، يخلق فيه من زوجه (ركون معنوي) مساويا لهذا الإخلاد بالمقدار أو يزيد.

فطبيعة الحياة المترفة اللاهية تسرق من الروح أكثر مما تهبها، وتنزع عنها كل رغبة في المدافعة، لتسلط الشكليات الفارهة، وأخذها من القلب الحيز الأكبر.

"كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم" فالذين طغى على فكرهم الدنيا وحدها، ليس لهم في الآخرة من نصيب، والجزاء من جنس العمل.

"ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله. فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها ؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت. ولكنك فعلت ليقال هو جواد. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه. ثم ألقي في النار". رواه مسلم

هذا وهو لم يكسب إلا المنفعة المعنوية..

فماذا عسى من يعيش بتشيىء النفس، ورؤية الحياة لرفاهية الجسد ولذتها وسعادتها، واستبدال البحث عن رضى الله والإيثار فيسبيله إلى التعبد بهواها؟!.

يقود مذهب المتعة إلى أن جميع الناس لديهم الحق لتحقيق أكبر قدر منها، فهي الأساس والموقف الأخلاقي للتمييز بين الخير والشر.

فجوهر المذهب يختصره ميشيل أونفري بقوله :

"أن التاريخ يعلمنا ألا نقف في وجه الواقع وإلا فاننا سنعاني ولذا فان فلسفة المتعة هي الحل لأنها تعطينا اختيار واحدا وعلى الحياة قبولها كما هي وهذا أفضل من المعاناة والوقوف ضدها".

كانت هذه الفلسفة أكثر اختزالية للعالم الغربي لتسيد النظام العلماني على تلك الشعوب، ولكن مع تغير البنية السياسية في الأوطان الإسلامية، وتأثير انفتاح العولمة ووسائل النحت الإعلامية، تفشت آثاره على أبناء المسلمين، لدرجة ترجيح المنفعة والمتعة المادية، وجعلها المعيارية للصواب والخطأ، والغفلة عن مقاييس الشريعةالثابتة.

وهذا ما يجب الوقوف للتصدي له، وتذكير المسلمين بأن الغاية من الحياة أهم من الحياة ذاتها، وأن الدنيا ليست هي الحياة الحقيقية، والألم جزء لا يتجزأ من طبيعتها ..

"وإن الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون" ولكنهم لا يعلمون، أو علموا عقلا وغفلوا – عن ذلك في واقعهم– أن المركزية هي مركزية أخروية، والأساس الذي ينبغي الحكم على الدنيا من خلاله.

"فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق".

قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف، فيقولون: اللهم اجعله عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن. لا يذكرون من أمر الآخرة شيئا.

تضليل الصورة



2 فبراير، 2021

حيرة الشيء حينما يبدو ليس كما هو عليه يخلق أزمة انسجام بين الظاهر والباطن ونزوع نحو جانب معاكس ليس هو الصورة الأولى ولا الثانية على تمامها، صورة جديدة مطموسة بعض ملامحها أو مشوهة.

قد يُعَرِّف عن نفسه بسلوك ما ولكن حقيقة السلوك وتداعياته مختلفة لديه، فيختلق انتفاخا وهو على هزالة في حقيقته، أو اتزانا فوق تأرجح، أو ثقة محل شك، أو انسيابا عند انكماش خانق.

غالبا؛ لا ندقق في الدوافع الأولية السلوكية ونرى النتائج مدرعة باختلافات عدة عن بداية المنشأ، فيسلب اللب الشكل عن التشكل كيف حصل ولأي شيء .. وهذا ما أسميه بتضليل الصورة.

اللعب في الزمن الحالي يطول أقرب شيء وأسرعه للحكم والتأثر، ألا وهو البصر، فالبصر محط اهتمام وتجليات لرمزيات لا تُحصى، بل وموطن الاستهداف الأساسي لتغيير هيكلة الإنسان بالكامل بدءا من سهام تخترق القلب ومعان جوهرية تعمل على صهره من جديد، ثم قولبته كما يريد صاحب الصورة فردا كان أو جماعات.

تأثير الصورة سواء كانت بعكس حقيقتها أو كما هي، زعزع التفكير مع الرؤية وذلك لآن التفكير تبعا للرؤية وينشط معها، بل وينغلق بمحدودية المحسوسات أحيانا. أما إذا كان ينشط بمحسوسات مضللة فهو يضطرب تباعا ويقف على خيوطه الرفيعة بين مع، وضد، وربما، ولكن، وكيف ... تثور في نفسه مدركات عدة دون إدراك تام، فيبدأ بالأحكام خبط عشواء لأنه لا يقدر أن يفسر الصور أويربطها بواقعها الأساس.

الإنسان المعاصر رهين الدعاية منذ الولادة فهو مع دعايته الكرتونية التي تتخلى عن كونها رسمة إلى كائن ات بشرية كلما ازداد به العمر. فتتكون لتلك الحالات .. السطحية الإدراكية، والسطحية الحكمية، والسطح ية المعرفية والعلمية. ويقف يصارع على مدركاته ومحسوساته بآرائه وزاويته من الصورة لا من مكانها نفسه.

"وأهمية الصورة تأتي من أن الدراسات العلمية أثبتت أن 98% من خبرات الإنسان عن الحياة والكون والبشر والألوان يكتسبها عن طريق حاستي السمع والبصر، و2% من خبراته يكتسبها عن طريق باقي الحواس، إلا أن ما يجب التوقف عنده أن 90% منالخبرات يكتسبها الفرد عن طريق حاسة البصر وهو ما يشير إلى أهمية الصورة كمصدر من مصادر المعرفة وتكوين فكر الفرد".

–ثقافة الصورة، خالد الخاجة.

فلا تتخلى الدعاية عن الصورة، سواء كانت اقتصادية، أو سياسية أو دينية.. فهي تستفز ردود أفعال أسرع وأكثر انتشارا إلى الحد الذي لا يمكن السيطرة عليه، إلا بصور مضادة إذا كان الهدف مكافحتها أو ترميم ما دمرته في طريقها.

تتبنى المجتمعات الكثير من الأفكار الضارة وتتغير هويتها المعرفية من خلال صور موجهة لأهداف تخدم مصالح من أطلقها، بل ويتم تغيير وجهة أجيال قادمة اعتمادا على تضليل الصور الحي والذي يخلق فجوة تواصل بين الماضي والحاضر بعد ضخ الكثير منهاعلى العقول الناشئة فيتم ربط الهوية الجديدة بمعزل عن مدخلات الماضي ويتم تسريع وتيرة المدخلات حتى يتم زعزعة الفكر في أسرع وقت ممكن، حتى لا يميز المتلقي الأنساق الجذرية والتاريخية لتلك الصور وتتغلغل في ذاكرته بحيث لا يرى مجريات الواقع إلا من خلالها، فالكثير من الصور لا يُعرف ماضيها – من متبنيها– ولا سبب ظهورها وانتشارها ولسرعة العرض والتشتيت لا يستطيع استرداد الإدراك للتفكير والتأمل، فهو كالجاري تحت شلال قوي لا يملك القدرة والوقت للنظر إلى قطراته.

هناك عوالم تُخلق وتدار داخل عالمنا، صناعة لواقع داخل الواقع، بث مستمر لما يُرجى تبنيه، وتنميط للحاجات النفسية والسلوكية إلى حد الاستنساخ، وتكرار لنفس التعابير بحيث يُستبعد عن دائرتها المخالف، فالسائد هو المتشابهات وما سواها خدعة بشرية جاءت على سبيل الصدفة.

تتشابه الأيام لذلك وحتى الآمال، ينقسم الناس بين غافل ومطحون بعالم الصور ومقاوم لها فيها، فتتشكل طوائف يحمل أفرادها طوابع متقاربة وفكرة كلية قريبة تجاه ما يحاك خلف الصور، فالبعض يتسلح بالعلم والوعي الكاشف للزيف، والآخر تُسلب روحه منه وساعاته وفرادته ويتم تذويبه في قالب السبك الجديد، حتى يغدو مع الوقت وغد يتحامل على كل صور الماضي لأنها ليست في القالب الذي شكله. فيعود حربه على نفسه القديمة وأجداده وشريعته وكل من لا ينصاع له من أهل بيته، فهو ترسا في حرب ضده وسيف في يد حضارة لا تمت بصلة لحضارته بل وتعاديها.

فتح الصور إغلاق للإبداع الكتابي والصوتي بوعيهما الثقافي الشامل، فيتم تجميد المدخلات الأخرى لعدم قدرتها على مجاراة عالم الصورة في السرعة والتجدد، ويقف الفرد مكتوف اليدين أمام مدخلات أسلافه العميقة والتي تحتاج منه الكثير من الوقت والجهد. لذلك يعوم في عالم صوري ولا يستطيع الغوص فيه غيره إلا إذا تخلى بشكل شبه كلي عنه، وهو غير قادر على التخلي الكلي إلا في حالات نادرة، ولا قادر على وضع الحد الفاصل بينه وبينه بشكل متين، حتى يراقب ويفرز ويختار للتمرير.

تعمل وسائل نقل المعلومة على الإثارة أكثر من المعنى، فترشح من الألوان ما يلائم النفسيات ويجذبها، ومن الرسوم ما يشد الانتباه لآخره ..

“تؤثر الألوان على النفس فتحدث فيها إحساسات ينتج عنها اهتزازات بعضها يوحي بأفكار تريحنا وتطمئنن ا والأخرى نضطرب منها وهكذا تستطيع الألوان أن تعطينا الفرح والمرح أو الحزن والكآبة. وتقسم التأثيرات السيكولوجية إلي تأثيرات مباشرة وأخرى غير مباشرة، أما التأثيرات المباشرة فهي ما تستطيع أن تظهر شيئا ما أو تظهر تكوينا عاما بمظهر المرح أو الحزن أو الخفة أو الثقل، كما يمكن أن تشعرنا ببرودته أو سخونته، أما التأثيرات الثانوية أو غير المباشرة فهي تتغير تبعا للأشخاص ويرجع مصدرها للترابطات العاطفية والانطباعات الموضوعية وغير الموضوعية المتولدة تلقائيا من تأثير اللون”.

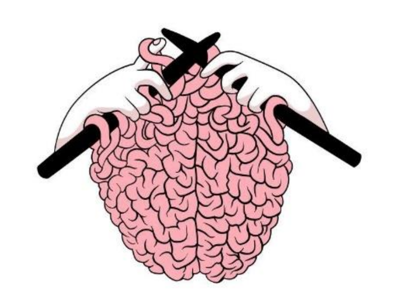
–كيف تؤثر الألوان على الإنسان.

وهذا يخلق تأثيرا مضاعفا، إذا تم إخراج الصورة عن فهم للمستقبلات الإدراكية والعمل على استثارتها على الدوام بشكل يخدمها.

فلم يعد تأثير الصورة على تلك الثابتة وعلى العرض التقليدي – كما السابق– بل تنوعت الصور مع انفجار برامج التواصل، وأصبحت تطول الرموز الحية، والنماذج البشرية التي تنمط الحياة بشعارات عدة، لذلك يتضاعف التأثير، فهي تتدخل في أدق التفاصيل اليومية، إما شارحة أو معرفة، أو ناصحة، وكأنها أدلة إرشادية، أو كاتلوج يومي لما ينبغي أن يتبناه المرء ويكرهه، لما فيها من مقاييس وتعريفات وتوصيات ..

ثورة الصور مستقبل آخر لعالم اليوم، حرب على الإدراكات الزمانية والمكانية والحضارية، تشتيت عن القضايا الجوهرية، وتبديل نزعة بنزعة، وجماعة بجماعة، وروح قريبة بأخرى بعيدة.

عقلنة الرغبات



2 فبراير، 2021

العقلاني هو ما كان مستند للتفكير العميق أو مرتكز على العقل، والتعقل أو العقلنة تفكر وتدبر وفهم للأمر على حقيقته. ويبدو لي أن العقلنة تتميز عن التعقل بأنها صنعة دائمة أو مستمرة أما هو فحالة تعتمد على واقع ظرفي، لذلك كانت أقرب لأن تكون عنوان الحديث هنا. فعقلنة الرغبات تستمد قوتها بأنها رغبات مدعومة بالعقل، ومصنوعة به لذلك تستفرد بقوة أكبر عن الرغبات الشخصية العاطفية التي تصطبغ بمزاج الإنسان الذي خرجت منه، فهي رغبات مقنعة بالعقل تجابه به كحجة وجود لها وامتياز.

الرغبات تكون بإرادة الأخذ وتمنيه وطلب الاحتفاظ أو الحيازة وحينما تكون على شقها العقلي فقد تطوعه بحسب قوة دفعها النفسي، فتخرج معقلنة لا عقلية فعلا، ولو كانت عقلية بادعاء فهي على العقل الذي خرجت منه وهو المزاج المتأثر برغبة صاحبه فيبحث له عن غطاء لايجده حتى يُكسبه شرف العقل الذي لا يأتي إلا بقوة التفكير ومنطقية الحجج فيسند الرغبات إلى أساسها من الأهواء المتذاكية.

هذا العصر عقلي بامتياز ولا أعني بذلك العقل على معناه المتعارف عليه في معاجم اللغة إنما التفكير الحر المعقلن كفارق أنه جاءممايز للرغبات، فتنتهك الحواجز الفكرية المقبولة حتى يتم النقض على البديهي ات الفكرية بحجة إعادة البناء السليم، فتأتي النتائج محملة بإسقاطات شعورية قد تكون وليدة لحظتها وزمنها لا أكثر. لذلك اتساع الدائرة الفكرية وانفجارها بهذا الشكل بلاء على هذا الإنسان المفكر وجحيم اختاره ليبرز تفوقه وانتصاره على الماضي.

الرغبات ترتبط ارتباطا وثيقا بالأهواء وهذا باجتماع الهوى مع الرغبة في الميل تجاه ما يريده ذلك الإنسان من خير أو شر باستثناء
أن الرغبات تأتي بشكل متجدد وعلى صورة استفرادية، مقتصرة، أما الأهواء فأكثر تغلغلا فهي تنصب على الميل الكلي وإن تفرعت
عنه ميول عدة، فكأن الهوى ميل ورغبة متجددة ولكن بشكل أكثر قوة ورسوخا، تاركة الانطباع بشدة لصوقها باختيارات الإنسان لأنها جزء من نفسه وفكره، فغالبا ما تأتي "بهواه"، "ما يهوى"، "يتبع الهوى"...

لهذا ركز الشرع على مادة (الهوى)، فاتباع الهوى المذموم قد يكون في الشبهات أو في الشهوات. فهوى الشبهة قد يصل بصاحبه إلى الابتداع في الدين. يقول ابن رجب – رحمه الله : "وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء". ويقول الشاطبي – رحمه الله : "ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء، لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك". وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله : "واتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات فإن الأول حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين كما قال تعالى {فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله}.."

فالهوى ميل ونزوع للأهواء والرغبات النفسية بغض النظر عن الدافع الرئيسي خلف محبتها، فقد يهوى الإنسان أمرا ظانا به نجاته أوسعادته الأبدية أو أنه الحق الذي كان مغيبا عنه ومع ظنه الذي ينافح عنه تختبئ رغبته التي يتهم من خالفها بمخالفة العقل السليم.

ولا عجب من حرص النبي ﷺ على التنبيه عنه بصور متكررة، يقول ﷺ : "إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى"."ثلاث منجيات : خشية الله تعالى في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى ، وثلاث مهلكات : هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه". "أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه".

كما أن كثير من السلف ذَّكر بآفة الهوى. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : "إن أخوف ما أخاف عليك م اثنتان : طول الأمل، واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق". وقال أبو عثمان النيسابوري : "من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة؛ لأن الله يقول : وإن تطيعوه تهتدوا". وقالسفيان الثوري : "أشجع الناس أشدهم من الهوى امتناعا". وقال بعض العباد : "أشرف العلماء من هرب بدينه من الدنيا واستصعب قيادُه على الهوى". وقال معاوية : "المروءة ترك اللذة وعصيان الهوى".

يأتي الحديث عن عقلنة الرغبات لسرعة تبدل الموقف تجاه المحظور لمُختار قد يكون مستعجلا، وقد يكون تقديمه بلا كثير تبصر، لمجرد شعور دافع، شعور آني يحوله من رغبة إلى مبدأ.

بعض التبني وليد حاجات نفسية غير مشبعة، تقف أهمية تحقيقها من أجل نمو نفسي، وفي حال فقدان بعض منها، يأتي إلحاح الرغبة في الوصول حتى لو بطرق ملتوية، تتجاوز خطوط الفكر مدعية العقلانية في ذلك.

وهذا سبب تصادم كثير من الناس مع الشرع، أنهم في صدد بحثهم توافق الدنيوي مع الإيماني خلقوا حاجات مشرعنة، وتم تثبيتها بمحاذاة النص، بل وتم رؤية النص بمنظارها.

الرؤية النفسية للمعايير والقياس النفسي، يحدث فوضى أخلاقية، فالعقول لا تتطابق والحاجات تتفرع وقد تنحرف وتطغى، بل ما كان حاجة طبيعية ربما يتحول مع الوقت إلى حاجة منحرفة، وهذا يشد توازن

الحاجات لتختل أنها تخرج من قالب الشرع المتوافق مع العقل إلى جانب العقل المخالف للشرع والفطرة معا، خاصة إذا تم فتح المجال لها، دون تطويق وتقييد.

يتكرر الحديث حول "كنت أرى" و"أصبحت لا أرى ذلك" وغالبا ما يظن أصحابها التطور في آلة الفهم للوجود البشري، والتعمق في الفهم الإيماني، إلا أن الصحيح أن المتغير الوحيد هو هوى النفس ورغبتها بين القديم والحديث، فقد كانت في تقبل واحتياج له وتحت تأثير محيط معين تخشى من نبذه لو تمت مخالفته، ثم انتقلت إلى نمط شعوري آخر مع هوى مستحدث وانتماء مختلف.

القيم الفكرية السليمة يميزها الثبات والرصانة، ترتبط بالعقل المبصر، والفطرة السوية، أما الأهواء فهي لا تعرف استقرارها، فلصوقها بالنفس يجعل منها تتبدل مع كل عارض يصيبه، لهذا كانت الأهواء للطيش والنزوغ، والعقل للثبات والبقاء، فكل عقلي لا يتغير، ولتوافق الشريعة والعقل على أتم صوابه، كانت ثابتة ليس على أزمنة طويلة فحسب بل على ثقافات لا تتشابه.

حينما يُطلق العقل في الشرع فهو ينصرف على معاني منها الغريزة التي في الإنسان، وعلى العلوم الضرورية التي تشمل جميع العقلاء، والأعمال التي تكون بموجب العلم.

والخلق في تفاوت فيه، بل أن هذا التفاوت جانب فيه غريزي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الصحيح الذي عليه جماهير أهل السنة وهو ظاهر مذهب الإمام أحمد وأصح الروايتين عنه وقول أكثر أصحابه أن العلم والعقل ونحوهما يقبل الزيادة والنقصان". فلخضوعه للأهواء وقبوله للتأثر والزيادة والنقصان لم يوكل الله – لأجل ذلك– إليه مهمة تنظيم شؤون البشر على قوانين منبعها بشري، بل كانت بما يتفق مع البشر ويصلحهم، ولذلك لا يعارض العقل الصريح النقل الصحيح أبدا .. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله : "ليس في المعقول الصريح ما يمكن أن يكون مقدما على ما جاءت به الرسل وذلك لأن الآيات والبراهين دالة على صدق الرسلوأنهم لا يقولون على الله إلا الحق وأنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله من الخبر والطلب لا يجوز أن يستقر في خبرهم عن الله شيءمن الخطأكما اتفق على ذلك جميع المقرين بالرسل من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم، فوجب أن جميع ما يخبر به الرسول عن الله صدق وحق لا يجوز أن يكون في ذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي فمتى علم المؤمن بالرسول أنه أخبر بشيء من ذلك جزم جزما قاطعا أنه حق وأنه لا يجوز أن يكون في الباطن بخلاف ما أخبر به وأنه يمتنع أن يعارضه دليل قطعي ولا عقلي ولا سمعي وأن كل ما ظن أنه عارضه من ذلك فإنما هو حجج داحضة وشبه من جنس شبه السوفسطائية، وإذا كان العقل العالم بصدق الرسول قد شهد له بذلك وأنه يمتنع أن يعارض خبره دليل صحيح كان هذا العقل شاهدا بأن كل ما خالف خبر الرسول فهو باطل فيكون هذا العقل والسمع جميعا شهدا ببطلان العقل المخالف للسمع".

فالإسلام لا يقلل من مكانة العقل، فهو مناط التكليف، والثواب والعقاب، ولكن لا يجعل العقل يتقدم على الشرع.{فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين}. وخلاصة اعتقاد أهل السنة في هذا الباب (أن الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل، وأن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه).

أعود للبدء إلى عقلنة الرغبات، يوجد من يسبك ميوله ويوقع أسفلها بأن هذا ما أملاه العقل، وهو يريد بذلك أنه لن يتم الرد على المذكور منه بصفته جاء من جانب العقل المقدس، إلا أن العقل لا يتقدس بالفكرة وحدها بل بإصابتها للحق، لأن الحق هو المقدس، سواء خرج من جهة العقل أم لم يخرج. وهذا فخ كائن الحاضر أنه يتزعزع بين طبائعه ظانا منها غير حقيقتها، أو مخدوعا بها لغير حقيقته.

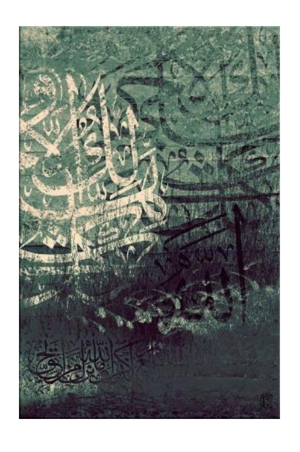
تم الرجوع أثناء كتابة المقالة إلى :

–مقالة اتباع الهوى سلمان الغصن

–مقالة العقل والنقل محمد المنجد

–مبحث درء التعارض بين صحيح النقل وصريح العقل /الدرر السنية

الرقي الإسلامي



5 فبراير، 2021

لم يشأ الله أن يجعل اهتمامي إسلامي في صغري، فقد كنت من هواة علم النفس، بل وكان من خططي الدراسية إذا كبرت، ولم يشأ الله أن أدرسه حينما كبرت، بل وحدثت نقلة كاملة في حياتي بدلت شغفي للإسلاميات.

حينما كنت أتحدث مع إحداهن وأخبرها باهتمامي السابق وتبدله، ردت كأنها مستنكرة سبب السر ..

لكني لم أتردد بالجواب بأن الشريعة تهتم بالنفس وأكثر، تتغلغل إلى أعماق الروح كما لم يفعل غيرها، هي حيوات وليست حياة واحدة، وإمدادات وليست إمداد واحد، ومعانٍ تضرب في أعماق البشرية جمعاء، ليس في نفس الإنسان فحسب، فكيف لا تشدني لآخر قطرة، من سقاء الروح، وكيف لا أهتم بها وهي أنا بكل أبعادي وآمادي وأزمنتي وبقايا التاريخ في ذاكرتي.

في فترة ماضية شغفني التأمل في نعيم الجنة، وجدت سرا ما لم يجذبني في الحديث عن سواها، وبعد فترة تفكير عرفت أنه في مستوى الرقي في الجزاء الأخروي ..

نعيم لا عراء فيه، لا ذل لا جوع، ولا رائحة نتنة، وحديث لا حقد فيه ولا حسد ولا بغض ولا كذب أو تحايل.

لم تحتج الجنة بعد تأملي لها إلى الشمس لأن تشرق فيها ليس لأنها حارقة، بل لأن شخوصها شموس تتمثل فيهم أعلى المعاني وأرقى أنواع الجمال ... ذلك الجمال الذي لا يتدخل الشيطان فيه ليسحرك بتصديقه، فكل شيء حقيقي جدًا، لا من تزييف أهل الدنيا.

أنت هناك بكامل جمالك المعنوي والخارجي والنوراني تسطع كالأفلاك، أنت هناك جنة لوحدك.

المعاني المعنوية أرقى مما يتخيلها عقل، فما بالك برقي الصور والمحسوسات، وقيمة كل شيء تراه فيها.

ورغم أن إدراك نفس الرقي لا تعرفه النفس الدنيوية على وجه الكمال أو الاستعداد ولكنها تتلمسه في بعض المدركات وتربطه كما تربط بين وجود عنب في الدنيا وعنب في الجنة دون أن تدرك كنها الأشياء كما هي أو تستشعرها على وجهها.

وهذا من أسرار خلق الله، أن يعرفك بما يشوقك لنعيمه، بضرب الأمثلة مما تراه وتعرفه.

أما إذا كنت ممن يفضل العراء في الدنيا – على سبيل المثال– لن تفهم نعيم الجنة في الستر حتى تتطهر نفسك من أوحال الذنوب وتأثيرات الشيطان لتدرك لذة النعيم والرقي في أن يصف الله لك جنته بأن من مزاياها أنك لا تعرى أبدًا .. ففي العراء ذل لن تراه هناك في دار كلها كرامة.
"خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها وقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فدخلتها الملائكة فقالت: طوبى لك منزل الملوك" منزل للملوك كيف لمن شردته الدنيا وتلاعب به الشيطان ونزع ثيابه أن يفهم رقي ما فيها وسمو أن لا تطمح المرأة بعينها لغير زوجها أو أن تحقد على امرأة أخرى في ملكها أو تفهم قيمة الستر العلوي عند رب العالمين؟!

أما البرد والحر وهجوم التأثيرات الكونية مما يضعف جسدك ويمرضه فهذا ليس منها ولن تعرف الإنحناء أمام أجواء كلها دعة وسمو وارتفاع.

ستحلق بكل ما فيك عاليا، يكفي أنك سترى ربك وهذا ارتفاع لا ارتفاع بعده، ونعيم ولذة لا فوقها شيء.

أما شخصية النبي ﷺ فرقي كلها، وإذا كنت تقصد بالتطور مرور الأزمنة وتطور الآلات وتحديثات الحضارة فأجزم أن الكمال الروحي في شخصيات الأنبياء والنبي محمد ﷺ تطوي الزمان طيا وتسبق كل مستحدث وتزيد عليه في نبل المعاني وحضارة السلوك الإسلامي في أسمى جودتها، ولن يسبقها شيء فهي النموذج المفرد في المثال الإنساني كما ينبغي أن يكون وأن يُحتذى ليعتلي عرش القيم.

فنماذج تعاملاته مع عائشة رضي الله عنها والصحابة والغرباء تسلب اللب، وتحير العقل إذا تفكر فيها، ما هذا؟! كيف لإنسان أن يرتقي كل هذا الرقي ويشرق كل هذا الإشراق دون تكلف أو تصنع، لا يتبادر إلى الذهن حين القراءة في كلماته وسيرته إلا قول الله : (ولتصنع على عيني) فشخصية النبي ﷺ لم تأت هكذا بسبب الوحي وحده، هناك صناعة خاصة لحقت جميع مراحل حياته حتى من قبل أن يتخلق.

الرقي في الشخصية النبوية ليس بيت رفيع مبني على سهل أخضر بل حصن منيع لا نهاية لارتفاعه عن الأرض، وروح تشع بالنور هيأها الله لعبء الرسالة، وجعل فيها من القوة واللين والشجاعة والحب والتضحية والصدق والإخلاص والرحمة ... ففيها من الكمالات البشرية ما يصعب حتى تصوره في إنسان تراه وتسمع منه.

إن في ذلك لآيات للمتوسمين .. فمن يراه يهابه ومن يسمعه يعرف أنه صادق، فحتى طريقة نطقه للكلمات تمتثل جانبا منه ينثر من خلاله النور فلا تدري أي نور سبق نور الصوت أم النطق أم الحرف .."عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس قِبله "أي انجذبوا إليه"، قالوا: قدم رسول الله ﷺ ، فجئت لأنظر، فلما رأيته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. فكان أول شيء سمعته منه أن قال: يا أيها الناس، أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام".

وحينما تتأمل التشريعات الإسلامية لا تشك في أنها خرجت من مشكاة نبوة، فهي نقية صافية، ترشد البشرية لاجتناب الدنس والقاذورات الفكرية والسلوكية، وضوء قلبي من كل ما يلوثه وحماية بدنية عن كل ما ينهكه، ورعاية للمصالح وتقديم للنافع على الضار والأنفع والأصلح والأجدر .. فهي أساسات ومعاني وقوالب تصنع فوارق الجيل والمجتمع والأمة. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ لقيه في بعض طريق المدينة وهو جنب، قال : فانخنست منه، فذهبت فاغتسلت، ثم جاء فقال : أين كنت يا أبا هريرة ؟ قال : كنت جنبا، فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة. فقال : سبحان الله ! إن المؤمن لا ينجس.

وكيف ينجس من اسم الله في قلبه وشريعته دليله ونبيه محمد ﷺ هاديه ومرشده ؟!

أنت هنا أمام أرقى الشرائع كيف تنجس إذا امتثلت بها ؟!

"كنتم خير أمة أخرجت للناس"

"ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا"

عن ابن عمر – رضي الله عنهما– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صليت العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أوتيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين، فقال: أهل الكتاب هؤلاء أقل منا عملا وأكثر أجرا، قال الله: هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟ قالوا: لا، قال: فهو فضلي أوتيه من أشاء.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ – ويكون الرسول عليكم شهيدا– فذلك قوله جل ذكره: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (والوسط العدل)

القابلية التيارية



15 فبراير، 2021

قبل الولوج في الحديث عن التيارات عموما، والقابلية الفردية لها خصوصا، نحن بصدد موجات فكرية تنتهجها جماعات هدفها التغيير باتجاهاته وأبعاده المختلفة لنظام سابق، واستبداله بنظام جديد ولا يعني الاستبدال الكلي، فهذا يحدده التيار نفسه بنسبة التغيير فيه، الذي يتميز بأنه غير مستقر أو ثابت.

فالتيار في اللغة هو الحركة السطحية التي تحدث في ماء المحيط، وتتأثر باتجاه حركة الرياح، أو شدة جريان الماء، والتِير تيه وتكبر. وتأخذ التيارات في معناها الاصطلاحي من الحركة والانتقال، والتأثر بِمُوّجه ما، وعدم الثبات، والسرعة، وهذه السمات تنعكس على التيارات الفكرية عموما.

والفكر تحديدا هو من التفكر أو تردد القلب في الشيء أو التأمل. فهو جملة النشاط الذهني من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة، ومايتم به التفكير من أعمال ذهنية. والتيارات الفكرية حركات فكرية تنتهجها مجموعة من الأفراد أو الجماعات التي تتبنى فكرا معينا أو اتجاها واحدا، فهي تيارات حركية، لها حمولة فكرية مستقلة، تقوم تحت إطار معين، وكل ذلك في المجال الذي حددت التحرك فيه. يضم التيار مختلف الأطياف والتوجهات والأديان التي تشترك في هدف واحد فيما بينها سعيا لتحقيقه، فهي تضامنية، تشاركية، مشغولة بالهدف المنشود.

وفي التاريخ الفكري الغربي والإسلامي يمكن القول أن بداية نشأة مفهوم التيار الفعلية كانت مع تكون الاتجاهات الفكرية، وهي الاتجاه العلماني في الغرب، والعقلاني في المجتمع الإسلامي.

فقد برزت في الساحة الفكرية الغربية عدة تيارات كالديموقراطية، والوجودية، والعصرانية، والليبرالية، وغيرها. والتي انتقلت بدورها إلى الدول العربية وتأثرت بها في القرن العشرين.

ومما انطوى خلف مسببات النهوض لتلك التيارات في المجتمع الغربي، الشعور بالتخلف والظلم والقهر، وإحياء الفلسفات اليونانية، ومكائد المؤامرات اليهودية المحرضة أيضا.

أما في المجتمع الإسلامي، فالتيارات انقسمت إلى تيارات تزعم أنها تدعو للمنابع الإسلامية الأولى، وأخرى تدعو لاحتذاء الغرب، وثالثة تريد إسلاما حضاريا متطورا.

وليس يعنيني في هذه المقالة السرد التاريخي للتيارات فهذا لم أتعمده حين حددت العنوان والذي قد يكون أُشبع طرحا أو على الأقل قد تم التفصيل فيه بشكل لا تستوعبه مقالة، إنما القابلية التيارية، وهذه القابلية الفردية أو الجماعية هي موضع التركيز، فأنت حينما تتحدث عن التيارات بشكل مجرد وتغفل عن العوامل النفسية والآنية المصاحبة للتشكل تكون قد أغفلت جانبا مهما هو من صميم الحركة الدافعة لمثل هذا الانبثاق .. ولا يستحضرني حين الكتابة إلا عنوان كتاب مصطفى حجازي "التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور" لأنك حينما تحلل عوامل التأثر بالطغيان أو آثار الظلم والقهر ونتائجها على الشعوب تجد أنها نفسها هي المسبب الرئيس لأمور أخرى تندرج منها وتنعزل عنها في الوقت ذاته وكأنها لا ترتبط بها، وهنا يكمن السر في أن التحليل الجيد قد يساند في فهم العوامل المتلبسة، والمتشعبة، التي قد تتنكر بظواهر أخرى وعند البحث والدراسة تجد أنها أساس لها. (ولا يعني إعجابي بكتاب مصطفى حجازي وإن قربته كمثال لجذور التحليل).

يوجد اشتباك فعلي بين نفسية الفرد التياري والقابلية التيارية، تقف أمام أفراد لديهم القدرة على الثورة والمناداة بشعارات لم تُعرف من قبل، على الأرجح في بداية التأسيس، فتصدمك الجُرأة والإرادة الحرة، والمحاولات الجادة أو الطائشة أحيانا أخرى.

فالفرد التياري فرد تمت إعادة صياغته من جديد بمفاهيم يريد لها الحضور والانتشار، فهو متحمس، ونشط، وصاحب تأملات مستقبلية يستدعيها في تصور الواقع المطموح له بعد رواج التيار.

وغالبا يصاحب الحماس فئة الشباب، فيكون الاستدعاء الشبابي والجاذبية للجماعات التجديدية قنبلة شبابية تنفجر من وقت لآخر، ولكنها لا تدار من الشباب إنما تساس بهم، فالمحرك الرسمي للموجة هم أصحاب الخبرة والمعرفة ثم تكون سرعة الانتشار والحماس الشبابية تابعة لقدوات وشخصيات رمزية يلحق بها المستجدين.

لذلك للتيارات أقطاب من حيث أنهم محط الاهتمام والرؤية، وموجهين هم في الأساس اليد الفعلية للتيارات، ومن ثم المنفعلين بها الداعين، النشطين أو المؤمنين.

أما عن العوامل النفسية المساندة، فمن أبرزها الإحباط بالواقع، وعدم الرضا به، أو الثورة عليه على أنه هو العائق أمام النجاح والفوز أو التقليد لعوالم أخرى انتشر فيها بشكل كبير وغيّر من أساساتها الحضارية.

وبعض المنتمين لا يحمل من كل هذا شيء في البداية، إنما يخوض فيها لقوة حضورها الإعلامية ووقوعه تحت الضغط الشديد إما أن يقبلها أو سيتم وصمه بالتخلف أو حتى إقصاؤه. فبعض التيارات لها سطوة حضورية تجعل من الرافضين لها متخلفين عن الركب، معاندين، منغلقين، مغلفين بالجهل والتعصب. ففى الناس من يقبلها فقط حتى لا يُتهم أو يتجاوب معها على الأقل حتى لا يُطرد عن الفهم الأصيل لواقع ما يدور حوله.

القابلية التيارية قابلية تتفاوت من مجتمع لآخر، ومن جيل لآخر، وطبيعة الحياة نفسها، ففى مجتمع سابق مع ضعف وسائل التواصل وشح الإعلام إلا من شعراء أو قصاصين ونقلة للأخبار إلى وقت الكلمة فيه تكتسح كل شيء رغم تفاهتها، ويسهل نقل التيار والتأثير به على نطاق قد لا يقتنع به في يوم سابق، بل وتكرار الشعارات وترددادها حتى يتشبعها في عقله الباطن من يرفضها –أصلا– فيسلوكه وانتماؤه. فهي تكبر أيضا بشكل مضاعف – لا تنتشر فحسب– وتنتشر بقوة، نعم؛ إلا أن المختلف أنه بسطحية أكبر فتحرك الموجات العليا في أنفس أكثر المنتمين بعكس الولاء الأول للتيار حينما يتم الإيمان به بكل الطاقة والشغف. الذي لا يقبل إلا المخلصين وليس فقط المتأثرين.

وباختلاف لغة الأجيال توجد مساحة كافية لزرع أنواع لا تنتهي من الانتماءات الحرة والمعزولة عن الماض ي، فتظهر تيارات متبرعمة ومتعددة بتعدد الميول الجديدة وكثرتها. صغيرة وتموت سريعا قبل انتشارها بالشكل الكافي أو قد تتعارض وتتقاطع مع غيرها.

وبعض التيارات الكبيرة قد تمر بفترات ركود لها ارتباط بعوامل خارجية، قد تطول فترة الركود وقد تقصر ثم يتم الإحياء لها من جديد من خلال أتباع حديثين يضيفون تعديلات عليها مما يجعلها أكثر تناسبا مع حقبتهم. فهي تمر بسلاسل حياة وموت بعضها يندثر تماما والآخر تُنفخ فيه الروح مرة أخرى ولكن بدماء جديدة. وربما لا يُحيى عين التيار بل يتم تدويره لواحد آخر يستمد منه أهم القواعد بتطبيقات مختلفة يجعله في طور مختلف.

يستمد بعث التيارات تلمس احتياجات الناس ومعرفة طبائعهم والتعامل معها بشكل ذكي، وخاصة في التسويق لها، فالتسويق يشتغل على نفسية المستجيب أكثر من أي شيء آخر لأنه لا يحتاج أكثر من عاطفته التي هي بدورها ستضل عقله. والتحدي الأكبر لاستمراريتها قدرتها على الإغواء بنفس القوة والذكاء والدعم أيضا، فبعض التيارات لا تقوم لها قائمة دون الدعم السياسي والاقتصادي الذي يسمح لها أن تنبض في قلوب وعقول الأتباع واستعبادهم. بل وقد يتم تشكيل التيار للاستعباد نفسه.

ولا يغيب دور المتابعة في بقاء التيار مرتعشا يتلوى بين الناس، فحينما يخاف المؤسسين على تيارهم يتم إشعال الجذوة من جديد إما باختلاق نماذج دعائية كاذبة، أو باستغلال الأدب والكتابة والبارزين بجعلهم الألغام المتخفية، التي بيدها تفجير الطاقات أو شحذها.

في بعض الأحيان يكون الحماس للتيار صعوبة تواصل مع الذات، أو صعوبة فهم لها، أو الرغبة في تحقيقها بشكل لا مثيل له من قبل، أو فراغ روحي غاب عنه الإيمان الديني، فيكون السعى خلف هدف غايته من غاية الوجود ويكتسب منه أهميته. وربما يدرك أصحابه خياليته، ولكنه يحقق شيء من الإرضاء الذاتي بأن الوقت ليس مهدورا تماما وأن هناك غاية تُشبع أفرادها كما يشبع المؤمنين إيمانهم. ففعالية التيار الواقعية لدى بعض المتابعين ليس هدفا رئيس، إنما الهمة نفسها والسعي لأجل السعي .. وكلما ابتعد البشر عن أزمنة النبوة

ازداد عدد التيارات والشعب، لأن التوحد على الوحي يضعف في نفوس البشر، فيحل عنه ما يشغله بطريقة أو بأخرى حتى لو كان من قبل الوهم اللذيذ لا أكثر.

"إن الإيمان بقضية مقدسة هو إلى -درجة كبيرة- محاولة للتعويض عن الإيمان الذي فقدناه بأنفسنا"

"إن فاعلية عقيدة ما لا تقاس بعمقها أو سموها أو صدق الحقائق التي تنطبق عليها، بل بقدرتها على حجب الشخص عن نفسه وعن العالم كما هو عليه بالفعل"(١)

ومن الأطر التي يحددها أصحاب التيار، أن تخرج الأفكار عن نطاق الصوت المسموع إلى اللغة عموما، صوتية أو جسدية، تعبيرية محملة بالإيمان الجديد كديانة تم تبنيها حديثا. وساند هذه الثورة الإحباط واليأس واستغلالهما في المفرزات، والظواهر كنهاية وبداية.

"فقد يجنح الإنسان لإيذاء نفسه – كما ذُكِر– أو لإيذاء الغير بإخراج هذا الكمّ من العنف في الإطار المجتمعي، وهو ما قد يدفعه للاندماج مع جماعات ترعى العنف وتؤطره داخل إطارها الجماعي وفق دوافع أيدولوجية مختلفة، مما يؤثر على تطور السلوك العدواني عند الإنسان، فقد يكون الفرد مترددا في الممارسات العدوانية إذا كان منعزلا، ولكنه لا يتردد في ذلك عندما يتواجد وسط مجموعة تشجع على هذه الممارسات وفق أفكار مختلفة"

"ما تعانيه المجتمعات العربية من فصام بين إيجاد نموذج سياسي اجتماعي يحفظ لها تراثها التي قامت عليه من جهة، ولا يعيق تقدمها ومسايرتها للعالم الحديث من الجهة الأخرى. الأمر الذي أحدث حالة من الإحباط العام لدى الشباب مع ملاحظتهم لهذا الفشل من قبل الساسة في إيجاد النموذج الذي سيحقق لهم الاتزان، بما في ذلك من أثر سلبي والرغبة في التمرد عليه"(٢)

أزمنة التيارات أزمنة صعبة؛ لأنها تنبثق من نفسيات عدة، وعواملها في البقاء التفريق لا التلاحم، تتغذى على الانعزال الجماعي والعداوة للنقيض، وفرض عين التصورات بمن خرجت منه، لتكون سلاحا يشهره في وجه كل مخالف له، بأنه لا يفهم الواقع، وأن الحل الوحيد للواقع أن تنضوي تحت رايته .. التي لا نجاة إلا بها.

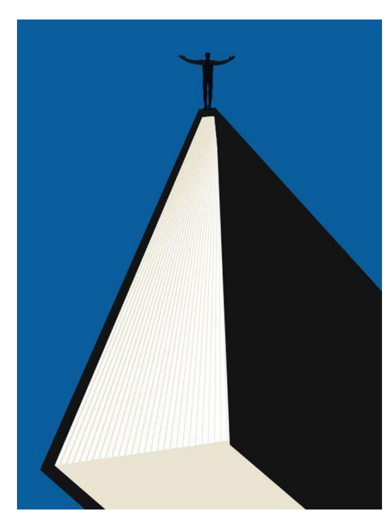
تم الرجوع أثناء كتاب المقالة إلى :

كتاب مفهوم التيارات الفكرية لجميلة الشمري

١-المؤمن الصادق إريك هوفر

٢-القهر الاجتماعي لسامح عودة

ما مشكلتنا مع كتب التطوير ؟!



6 مارس، 2021

قبل أيام تحدثت مع رفيقة في كلوب هاوس بنفس العنوان – خصَصَت الغرفة لأن أتحدث في هذا الجانب– ووجدت الحاجة بعد الحديث عنه إلى الكتابة فيه والتفصيل، فقبل أن تنبذ أمرًا ما، عليك قبل ذلك أن تعرف أسبابك جيدًا، ومن خلال الفهم الجيد تكون ردة الفعل المناسبة (فليس دائمًا ردود الأفعال غير مستحبة، فهي نتيجة وتأثر طبيعي تأخذ سلبيتها من سلبية التصرف نفسه لا من كونها ردة فعل بحد ذاتها).

وحتى نكون منصفين كتب التطوير أو التنمية الذاتية ليست دائمًا سيئة، أو تجارية، ولا يعني النقد لأكثرها أنها مرفوضة بالمجمل، ولايعني النقد لكتاب ما، أنه كتاب غير مقبول من الجلدة إلى الجلدة، بل له ما له وعليه ما عليه وهذا في جميع الكتب، ثم نحن لا ننقد لأجل مؤلف أو مؤلفين، بل لظاهرة تجتاح كتب التطوير عمومًا، وأسلوب عرضي يحتاج إلى مراجعة حاذقة، خاصة من أتباع ديننا
الحنيف الذي لا يعزل النفس والروح عن تشريعاته، فهو يوليهما أكبر الاهتمام والعناية، فنحن نملك المصباح الكاشف، ونعرف المستوى الذي يليق بأنفس هذبها الإسلام، وقرأت نصوصه السامقة وتأملت أمثلته العظيمة في المبنى والمعنى ..

مما لا شك فيه أن كتب التطوير العربية تأثرت بالكثير من تلك الغربية، وحاكتها إن لم يكن في الإسلوب ففي المنهج العلاجي للنفس، بداية من ذكر رحلة الكاتب في عالم النفس والتعامل مع الكثير من الحالات التي استدعت تدخله فيها، ثم ركون كل من حوله إليه واستشارته، وتقديم أفضل الحلول وأنسبها بما يتفق مع فكرة الكتاب ككل، ولا أذكر خلال اطلاعي على كتب التطوير خلوها من الأمثلة من واقع حياة الكاتب، أو قواعد كلية تم استنتاجها من عرض القصة كخاتمة أو مقدمة لها.

هذا النوع من الكتب يخدم فئة من الناس بأعمار صغيرة – غالبا– (كما حدث معى)، تجد في هذا النوع من الكتب امتصاص لمشكلات حياتها، أو طبطبة نفسية لما تشعر به من تخاذل المقربين أو فشل وتقصير أو تفريط في الفرص، أو للخروج من أجواءها المشحونة لعالم يقول لها سوف يكون المستقبل مختلف حتميا، سوف تخرج أجنحتك قريبا وستحلق عاليا، وتحصل على ما تريد.

تغفل كتب التطوير أمر جوهري – لعلها اهتمت بما يجذب الناس عن الأثر– وهو أنه الإفراط في التفائل له آثاره السلبية كالإفراط في التشاؤم، وأن الكلمات الحالمة لا تصنع حياة سعيدة، بل وحتى السعادة لا تعتمد على الراحة والنجاح فحسب، إنما على جانب من الشقاء والحزن، ولهذا يتقلب الإنسان بين المسرات والمنغصات بل وقد يبتلى وهو ليس بتلك التعاسة مما ابتلي به، لأن طبيعة الدنيا تصقل بقدر ما تلسع، وتعطي بقدر ما تأخذ، ملتبسة بين عواطف الحب والبغض، والسكينة والمحنة، والراحة والعذاب، والفرح والحزن، وكل ما فيها هو لصالح هذا الإنسان، إما أن يعلمه، أو يردعه، أو يجعل منه قدوة، أو عبرة، أو ذكرى، أو فكرة ..

"إن أفظع مرض يمكن أن يُصاب به الإنسان هو ألا يتألم وليس أن يتألم، فانعدام الإحساس بالألم هو مرض قائم بذاته يصاب به العديد من الناس، فيموتون بسرعة بسبب غياب الألم المحذر الموقظ المنبه، وهذا هو أحد أسباب فتك السرطان، لأنه يبدأ وينتشر ولا يعلن عن نفسه ولا يؤلم إلا متأخرا عندما يكون قد انتشر في الجسم، أما الالتهاب فإنه يوقظ ويوجع ليُعالج ويزول، إلا إذا أهمل ودخل مرحلة مزمنة". (١)

وكما يقول دي موسيه "لا شيء يجعلنا كبارا كالألم". وكما يقول ليو تولستوي "إن الإنسان في أوقات اللذة يطفو على سطح الحياة، وأما في ساعة الألم فيدخل في العمق".

كثير من كتب التطوير تعتمد في عرضها على نصائح معلبة جاهزة، مطاطية، سطحية، قد يربطها القارئ بحياته بشكل خاطئ، وقد يأخذها بشغف اللحظة فيجعلها حاكمة على تعاملاته وحياته، فيستثني الأشخاص لراحته، ويقطع رحمه الصعب معه، كي لا يتغير عليه مزاجه، ويبالغ في التفائل لدرجة تمني المستحيل وانتظاره لسنوات، وكم غرّ قانون الجذب من إنسان، ظن أن استدعاء أفكاره لرغباته، الفانوس السحري الذي يمكن أن يطلبه أي أمنية، ويخاطبه بكل حلم.

فمن بين ما أبرزته كتب التطوير تأثير العقل الباطن، إلى درجة تقترب من تأليهه، وكأن المقادير تحت تصر ف هذا العقل، ولا علاقة لها بالظروف الخارجية أو أي تأثير خارجي، ومن مساوئ تكهنات مؤلفي التطوير أن نفس النصائح لم يتم اختبارها بالشكل الكافي لتخرج كنموذج مستقر في المعالجة أو التعديل، ومن قبل أنفسهم قبل غيرهم، فأحيانا يجزم لك بصحة ما يسرد وأثره على النفس والنجاح أو زيادة الثروة، ومع ذلك هو عالق في مشاكل لا عد لها، أو فاقد لعين الشيء الذي جزم بحصولك أنت عليه. كما يقول المثل"باب النجار مخلّع!".

نحن أمام صناعة نفسية يخالطها الخلل في كثير منها، وهذا الخلل شكل نفسيات مشوهة، حالمة إلى حد المرض، متقاعسة، متواكلة، تنتظر نتائج عقلها الباطن وكأن القدر سيستشير العقل الباطن أترغب بهذا؟. انتظر كلها أيام وسيأتيك الطير الذي تمنيت على طبقك مشويا. كل ما عليك الانتظار!.

وبعض العبارات تفقد بريقها خاصة حينما يتأكد الإنسان بأن الواقع ليس تماما كما تؤكد، خاصة إذا كانت تملك سجعا ما، أو مستوى إنشائي عالي يجعلك تنبهر بها ثم لا تغدو أكثر من زبد يذهب جفاء.

وليست مشكلتنا – فقط– ضعف العبارات، فهذا قد يكون مما يغفر إذا قل، ولكن الذي تتركه مثل هذه العبارات، هو بأن ترفع السقف الطموحي تجاه الحياة الدنيا، فيظن الشخص أنه ينبغي أن يعيش حياته كاملة هنا، مستحقا لكل ما يريد، وليس فقط باحثا عما يريد، وجميع أحلامه لا يصيبها الخطأ لأنه اختارها بكامل

رغبته، وتقوّت في أعماقه، وتملكت شغاف نفسه، فهو يريد العيش بفرح مستمر لأنه يستحق الفرح الذي اختار، ويختار المنزل الفلاني لأنه يستحق هذا النوع من المساكن، ويرفض الفقر لأنه لا يستحق سوى الغنى، ويتحسر من المرض لأنه يستحق في الأصل الصحة والعافية. فيتم علمنة الرؤية للحياة بسبب تأثر كتبنا بمنبع علماني جاء ليخفف من الحزن الذي يتركه شره الدنيا على أهلها، لذلك إذا تبناها مسلم خرج بهذا الاستحقاق المتضارب مع ذل العبودية والتسليم لأمرالله وتدبيره، وقد ينتكس في مرحلة ما إذا زاد التضارب وكان تشبعه لقيم الاستحقاق بشكل أكبر، وربما أدى به هذا إلى أن يذم الدهر والقدر ويشكك في حكمة الله، فينقلب التعزيز بنتائج عكسية كان من أعظم أخطارها أنها غذت عظمة الذات بشكل متطرف.

لن أتكلم عن السبب التجاري لانتشار الكتب الغربية ولا عن ضياع البوصلة الدينية والتعطش لها لتغذية الروح وإحلالها محل الدين في النفس فهذا لا يتعلق بنا نحن كما يتعلق بهم، إنما عن أمر ملحوظ وهو تأثر الكتب العربية بالمذاهب الباطنية وبعض الفلسفات الغربية، التي تخرج نظرتها للمستقبل بما يشبه الكهانة والسحر، ويضر العقيدة، فالمجتمع حينما يلجأ إلى تصيد الإشارات هنا وهناك والبحث عن دليل فيما لا علاقة له به، قد يتحول تدريجيا إلى مجتمع واهن منفصل عن فكره وواقعه، وإذا قرأه قرأه بالأنفس المختلفة لا بالقيم الثابتة.

حينما وصى الرسول ﷺ أمته خرجت الوصايا ملائمة لطبائع البشر فعجنتهم بعجينة التواضع، لينظر المسلم من زاويته الخاصة إلى السماء مباشرة، عارفا حجمه الحقيقي وأنه خطآء، نساي، عاجز، وهذا العجز هو ما منحه القوة في العمل، والعظمة في التعامل، والتوازن في النظر بين أثر الخالق والمخلوق.

الإقبال بشغف على كتب التطوير المعلمنة، دليل توهان في رحلة الفهم، مكن لنوع من الكتب هزيل أن يكون المرشد والقائد، خاصة إذا كان التطوير لا يتعدى سقف الحاضر أو المستقبل القريب، متناسيا أن الإنسان لم يخلق لهذا، ولا لراحته، ولا توجد حياة بلا مرض أو فقر أو ظلم .. وأنه لو تم تحديث عقلية كل البشر بمثل هذا النوع من الوصايا سيبقى العجز كما هو ليكشف بشكل صارخ حقيقة هذا الإنسان. وأنه خلق متنقلا من طور إلى طور، وعجز إلى عجز.

ولتفهم الحياة من فوق تأمل قول النبي ﷺ : "ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجر ة، ثم راح وتركها.." وقول الخليفة عمر بن عبدالعزيز : "أيها الناس، إنما خلقتم للأبد، ولكنكم تنقلون من دار إلى دار". وقول بعض الحكماء : "كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إليها فإن عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بلية أو منية قاضية".

هي رحلة عابرة تستحق التضحيات الكبرى لهناك وليس لهنا، وما كان نقص الإنسان عيبه، بل طغيانه الإنساني رغم كل العيوب.

(١) مقالة أن نتألم أو لا نتألم-الوطن.

مقالات الذكورية:

ذكورية الرجولة الناقصة



2 فبراير، 2021

«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» متفق عليه

الذكورية أو الرجولية وتعزيز المعايير الصبيانية، حينما نتحدث عنها يتبادر إلى الذهن –سريعا–تشكلها الغربي، وجذور نشأتها في الغرب كردة فعل ساخطة تجاه حركات نصرة المرأة هناك.

فهي خرجت لرفض الامتياز الحقوقي لجنس النساء، مما شكل تحيزها الناقم، والذي يرى أن من صالحه التخلي عن نمط الحياة السابق والبدء بشق طريق جديد يناسب رغبته في القمع والتسخط.

الذكورية أو ما يسمى بحقوق الرجل، تيار غربي المنشأ، واللغة والأبعاد، بعيد كل البعد عن عزة العربي الأصيل وعطاء نفسه، وإيثاره غيره عليها حتى فيما يحب.

سأبذل مالي كلما جاء طالب

وأجعله وقفا على القرض والفرض

فإما كريما صنت بالجود عرضه

وإما لئيما صنت عن لؤمه عرضي

–أحمد اليماني

حر إذا جئته يوما لتسأله

أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا

يخفي صنائعه والله يظهرها

إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

–سهيل بن هارون

مما تعارف عليه رجال العرب :

- المعايير الأخلاقية العالية والتي قد تصنف لمن لديه خلفية مادية بالمثالية المنقرضة.
- الشجاعة في الإفصاح عن الكلمة والشجاعة في الدفاع عن الأهل والعشيرة.
- بلاغة اللسان وقوة الحديث وجزالته.
- صدق العهد والالتزام بالوعد.
- الكرم، والكرامة، والشرف.
- قوة البديهة وصفاء الذهن.

وهذه السمات تستوجب التخلي عنها كلها أو بعضها للدفاع عن ذكورية هذا الإنسان بلا معايير بشرية، إنسانية، إسلامية.

حينما نتحول إلى إنسان الغاب، نستسيغ أن تكون لهجة الدفاع بأصوات ومخالب ليست بشرية، ولكن حينما نكون من خير أمة أرسلت للناس، لنا معاييرنا الشرعية التي ننطلق في الإفصاح عن الحقوق منها.

فلا يوجد ما يسمى بالدفاع عن الذكورية بوجه النسوية إن لم يكن المبدأ إسلامي أولًا، وموافق على وجه الصواب لما جاء عن رسول الله ﷺ وسنته ثانيا.

"فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا"

لكل جعلنا منكم شرعة : قال ابن عباس (السبيل).

ومنهاجا : قال (وسنة).

لكل جعل الله سبيلا وسنة، وسنتنا ليست من هذا المنهج الذي يظن أن بالخصام والعداوة والزيادة في إشعال النار تهدئة ومعالجة سليمة، طالما لا ينتهج نهج نبيه في مثل هذا الأمر، ويدافع عن حقوقه متأثرًا بالغربي وتطرفه البغيض لأجل ذاته العمياء.

"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"

ليس في الإسلام جنس بمعزل عن الآخر، تكاملية هذا الدين جعلت نجاح مجتمعاته تعتمد في الدرجة الأول ى على تعامل أفراده، ومعرفة كل فرد ما عليه من واجب وحق بأن يكون كأخذ ورد، دون عنجهية الامتياز الخاصة حتى في حال (صعوبة الطرف الآخر أوتغيره).

"قل أمر ربي بالقسط" "إن الله يحب المقسطين"

وهذا العدل واجب عليك حتى على من يخالفك بالدين، فما بالك بمن هو على دينك، أو وقع في مخالفة شرعية، أو معصية ما، أو أصيب بشبهة يحتاج منك الرحمة عليها أكثر ما يحتاج، لعلاجه منها ودفعها عنه ، خاصة إذا كان صلاحه يغلب تقصيره وذنبه.

حينما سأل رجل الرسول ﷺ : من أحق بصحابته؟ فقال له: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من ؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟قال: أبوك.

إذا كان الرجل المسلم يسعى لذكوريته وحدها كيف سيرق قلبه لأن يدرك أن لأمه عليه حق مضاعف ولأخواته حق هو من حق برها، ولنساء المسلمين حق هو من حق تربيتها.

كيف سيتعايش مع هذه المباينة والتناقضات التي يزرعها في طريقه الخاص، وهو كل ما فر من عقبه، سقط في حفرة.

فالتناقض جزء لا من كيان هيجانه ضد الأنوثة خصوصا ونساء المسلمين عموما.

فمهما أقنعك الذكوري ببعده عن التطرف، وتجنب اتباعه للنموذج الغربي، ذّكِرْه بأنه لو صدق لن يكون حينها ذكوري ولا يحتاج بأن ينعت نفسه بذلك، ففي انتسابه للدين ما يغني عن هذا كله.

قال صلى ﷺ "من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها، ولم يُؤْثِرْ ولده عليها – يعني الذكور – أدخله الله الجنة" –أخرجة الإمام أحمد

وقال: "من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان، فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن، فله الجنة" –رواه الترمذي

وقال: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" –رواه الترمذي

وقال: "ويحك يا أنجشه، رويدك سوقا بالقوارير" –رواه البخاري

"بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي. فبكت فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال لها: "ما يبكيك؟" فقالت: قالت لي حفصة: إني بنت يهودي. فقال النبي ﷺ : "إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟" ثم قال: "اتقي الله ياحفصة". –رواه الترمذي

فعن عائشة – رضي الله عنها– أنها قالت: "كنت أشرب فأناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع في، وأتعرق العرق، فيضع فاه على موضع في". –رواه مسلم

"كان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث". –رواه البخاري

استأذن أبو بكر رضي الله عنه على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة – رضي الله عنها– عاليا، فلما دخل تناولها ليلطمها، وقال: لا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ فجعل النبي ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مغضبا، فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر: "كيف رأيتني أنقذتك من الرجل؟!" فمكث أبو بكر رضي الله عنه أياما، ثم استأذن على رسول الله ﷺ، فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما. فقال النبي ﷺ : "قد فعلنا، قد فعلنا". –رواه أبو داوود وأحمد

"ما ضرب رسول الله ﷺ امرأةً له قط..." –عائشة رضي الله عنها

ما يقع فيه الكثير من الذكورين من الخلط بين مسائل التفضيل للجنس، على أنها تفضيل لمطلق الجنس، حتى لو مع نقص التقوى، خلل كبير يدلل على أن الغرض استغلال النص في حرب ليست سلمية، لا الاستشهاد به حقا.

أو العمل على الاستفزاز بالأدلة والتنفير من الدين بها، ومحاولة الدمج بجد بين مبادئ التيار وبينها، وكأن الدين لا يركز في شرائعه
إلا على تفضيل جنس، أو تعزيز سيطرته على الجنس الآخر، بعشوائية وانتقائية، مع تغافل شديد عن أحاديث الأخلاق والقيم والتعامل مع المخالف ومناهجها التربوية الدقيقة والكثيفة.

وهذا ما يثبت أنه لا يوجد تيار منشق، سيخدم مصلحة الأمة، وهو قد بزغ من مظلة علمانية بفلسفاتها الفردانية والإنسانية والمادية المتداخلة.

الذكورية المتسلطة



2 فبراير، 2021

البطريركية أو الذكورية:

النظام الأبوي أو ما يعرف بالبطريركية، هو نظام سيادة الأب أو الذكر على العشيرة أو الأسرة، وخضوع الأبناء والزوجات له. فالزعامة للكبير الذكر على النساء.

البطريركية : مصطلح يوناني، مكون من الأسرة والسيادة، واصطلاحا يشير إلى مواقع السلطة التي يتولاها الرجال. فهو يعني هيمنة النظام الأبوي، وتفضيل الذكور الأكبر سنا.

يعتمد هذا النظام على تعزيز الفوارق الجنسية بين الذكر والأنثى، لتبرير هذه الهيمنة، من فوارق القوة والكفاءة والتميز ..

فهو نشأ مرتبطا بمفهوم اختلاف الأدوار، ومعايير اجتماعية، مستمدة من الأعراف والتقاليد.

يتفق النظام الأبوي بشكل غير مباشر، مع الداروينية، من حيث علاقة التطور بالممارسة الاجتماعية، والأدوار الخاصة.

فالأبوية متأثرة بالبيولوجية الاجتماعية، لا نتيجة اجتماعية وذلك لأنها ترى أنها "نظام طبيعي" يستمد شرعيته من فطريته.

الاختلاف بين النظام الأبوي والذكوري، أن الأخير لا يركز على سيادة الأب خصوصا، بقدر الذكر عموما، ومع ذلك هو جزء من النظام الأبوي.

من أبرز مساوئ النظام البطريركي الغربي :

- تحجيم دور المرأة في المشاركة المجتمعية، وإلغاء التكاملية بين الجنسين.
- اعتبار المرأة مجرد سلعة، لا قيمة لها.
- التعامل وفق الطابع الحيواني التطوري، بربط السيادة بالقوة والأكثر صلاحية جسدية.

- التعامي عن الخطأ الذكوري.
- النظر للمرأة من ناحية مادية فحسب، وعزلها عن كل قيمة متجاوزة.

الذكورية والإسلام:

السؤال الجوهري في هذا الموضوع : هل الذكورية من الإسلام؟

في الحقيقة؛ لا.

الإسلام ساوى بين المرأة والرجل في الحقوق والوجبات، وفرق بينهما في الخصائص والقدرات.

فالقوامة (ليست أفضلية ذاتية) بعكس رؤية الذكوري بأنه مستحق للسيطرة بناء على تفوقه الجسماني، – وبخصوص هذه النقطة تحديدا، أقول : كثير من الحيوانات تتفوق على الذكر والأنثى من هذه الناحية، هل يعني أنها سيدتهما؟!-

ولم يلغ الإسلام القوامة بشكل كامل عن المرأة بل هي راعية في بيتها ومسؤولة عمن ترعى.

والمساواة الإنسانية الآدمية التشريفية مذكورة بنص القرآن والسنة، لا بهلوسات الغرب ومفاهيمه المعوَّجة.

فالله يقول في سورة النساء : "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا"

ويقول في سورة التوبة : "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم"

ويقول في سورة الحجرات : "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"

ويقول في سورة النحل : "من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

ويقول الرسول الكريم ﷺ : "إنما النساء شقائق الرجال"

يقول ابن باز في هذا الحديث : (يعني أنهن من جنس الرجال كالنصف من الرجل، كونها خرجت من الرحم كما خرج هو من الرحم،خرجت من الرجل كما خرج من الرجل، فهن شقائق الرجال في كل الأمور إلا ما استثناه الشارع. فالمعنى والله أعلم أنهن مثيلات الرجال فيما شرع الله، وفيما منح الله لهن من النعم، إلا ما استثناه الشارع فيما يتعلق بطبيعة المرأةوطبيعة الرجل، وفي الشؤون الأخرى خص الشارع المرأة بشيء والرجل بشيء، والأصل أنهما سواء إلا فيما استثناه الشارع)

نعم تتدخل الفوارق الجنسية في تحديد وظائف القيادة، والتأثير .. لأنها تتوزع على تكوين الرجل والمرأة، وما أودعه الله في كل منهما، ولكن مفهوم القوامة يختلف عن النظرة الذكورية التي حبسته في السيطرة والاحتقار والتهميش.

فالرجال مكلفون بمسؤولية الرعاية لأهليهم، ودفع عنهم الشر والأذى، لتحقيق المصلحة بكليهما، لا إرضاء لغرور جنس على جنس.

فالشرع لم يكلف الرجل لأنه في مرتبة عليا والمرأة في القاع، بل حفاظا على المسؤوليات المجتمعية والذي ناسب أن تكون من مهمات الرجل، فهي تكليف قبل أن تكون تشريف، وخدمة قبل أن تكون سيادة.

بل كان الرسول ﷺ يحذر صحابته وهم أتقى الناس من تبعات الأمارة، وأنها زيادة أعباء على عاتق الرجل .. "إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هي؟ أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة؛ إلا من عدل".

وأبا ذر رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ: "يا أبا ذر، إني أراك ضعيفا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تَأَمَّرنّ على اثنين، ولا تَوَلَّينَّ مال يتيم".

وفي رواية : "قلت يا رسول الله، ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال: يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها".

فالسيادة ليست تفوق ولا تميز جندري، يضرب به الرجل وجه المرأة كلما أراد إغضابها، إنما مسؤولية ورعاية "كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته : الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ؛ فكلكم راع ومسئول عن رعيته".

ولم يكن النبي يتخير الأمير في الصحابة، أتقاهم وأقربهم إلى الله، إنما أن يكون على مستوى الكفاءة لإدارة شئون الجماعة، وهذا أهم ما في الإمرة.

يقول رسول الله "خيركم خيركم لأهله" ويقول الله "وعاشروهن بالمعروف" فالعلاقة الأسرية تقوم على الحب والتفاهم، وخير الرجال من كان خيرا لأهله، وخيرهم من عاملهن بالمعروف والإحسان.

الذكورية والنسوية:

من يقمع من؟

حينما نتكلم عن النسوية نستحضر الصراع الغربي للمرأة الغربية، وكيف أنها نازعت من أجل الحصول على حقوق مساوية، فهي كانت محرومة من التصرف بمالها ومن التعليم والعمل فبدأت المطالبة حول الحقوق الفردية والإنسانية، ثم رفعت التكامل الكامل فيما بعد، بما فيه التكامل التشريعي ..

أما الذكورية فقد نشأت في ظل الاختلافات الجنسية، والأدوار بين المرأة والرجل، باعتبار أن الرجل هو المسيطر بحيث يمتلك السلطة على النساء والأطفال والممتلكات ..

النسوية سعت للمساواة والحرية المطلقة –فيما بعد– أما الذكورية فيشغلها السيادة والسيطرة.

وكلاهما مرتبط بالجندر وبالفلسفات الغربية .. وكلاهما يعتمد في خروجه على حال الجنس الآخر، باختلاف أن النسوية ترى فيه الطغيان، وهو يرى من حقه التسلط للامتياز الطبيعي.

هل الذكورية الإسلامية حل في مواجهة النسوية؟

بلا شك أنه؛ لا.

ليست الحل، فالحل إن لم يُستمد من الشريعة وبأساليب الشريعة كان حربا ليست شريفة، وهدفها ذاتي لا شرعي، والرجل إذا لم يفكر في إصلاح المرأة لربه قبل نفسه، سيعلق في تضخيم ذاته إلى درجة العبادة.

كلا التيارين قدس ذاته فوق الحد، وتطرف في رسم الخطوط الحمراء، لدرجة أن الذكوري – بحربه الذاتية وليست الشرعية– تجاه النسوية حارب لأجلها كل النساء، وساوى بين الصالحة والطالحة، وجعل الكل قذر ونتن وسلعة وضيعة .. لذلك حينما يقذف يرتكب هذه الكبيرة دون رفة رمش لأنه يفعل هذا لأجل جنسه، ودفاعا –كما يرى– عن تفوقه، وحينما يستخدم أقذع الألفاظ –لا يدرك أنه– يقع في خذلان قضيته التي لو

لم تكن خاسرة فهي ليست عادلة، والتي لو شهدها النبي ﷺ لأنكر_ عليهم– ولائهم للدين، فالمسلم كالنحلة لاتأكل إلا طيبا ولا تضع إلا طيبا والمؤمن كالنخلة بركته كبركتها، والمؤمن ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذيء، والمؤمن لا يتجرأ على سباب مسلم –عامدا– وهو يعلم بخبر الصادق أن سباب المسلم فسوق.

فما بالك بأن ينشر قيما إلحادية داروينية، تحط من قيمة المرأة البشرية وتراها مثل الحيوان، لا أهمية لها سوى في متعته، أو طاعته العمياء كالدابة، بل حتى الدابة قد تنفر من صاحبها إذا أساء معاملتها، وهو لا يرى أن سوء صنيعه يستحق نفرة المرأة بأي شكل. وهذا بعينه هو العبادة، عبادة لجنسه الذي ألهه.

ثم الرسول ﷺ حذر بما هو أقل من هذا بكثير، عن أبي مسعود الأنصاري قال: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله،إنِّي والله لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فيها، قال: فما رأيت النبي ﷺ قط أشد غضبا في موعظة منه يومئذ، ثم قال: يا أيها النَّاس، إن منكم منفرين؛ فأيكم ما صلَّى بالناس فليوجز، فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة" فحينما تتأمل غضب الرسول ﷺ على زيادة في العبادة، من أجل التنفير منها، ألا يتبادر لذهنك كيف سيكون عظيم غضبه من تنفير جنس كامل، وإحداث الشقاق والفرقة لأجل حرب مع طائفة، يظن فيها – الذكوري– أن السخرية على جميع أفراده تأديب له وعلاج؟!

ماذا يريد الشيطان أكثر من هذا؟!

وهو الذي يُكرم من يفرق بين الرجل والمرأة من أتباعه؟!

هل من الدين تنفير المسلمات الصالحات، والتشكيك بهن والتخوين والطعن بصدقهن وأمانتهن، وبث روح الكراهية والتربص والقلق والشك والتذبذب والظن على الله بأنه ما خلق المرأة إلا مقهورة ومهانة كرامتها، لأنه أراد – والعياذ بالله– تقديس هذا الرجل والغلو فيه!.

متى كان الدين يُنصر بالباطل، وهل هو بحاجة إليه، وهو يملك قوته وقدرته الواسعة على التكيف مع كل المجتمعات والأجناس والأعراق؟!

غالبا من يقع في فكرة نصرة الدين بالتذكير بذكورته لا بالله، لن ينصر الله من حيث خذل رجولته، فالدين كماله بكمال الخُلق، والرجولة كلها أخلاق.

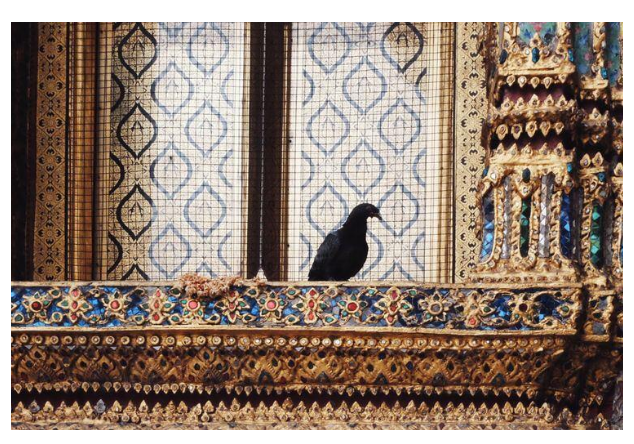
تم الرجوع أثناء المقالة إلى:

–مقالة إنكار قوامة الرجل على المرأة.

–مقالة ماهي البطريركية الذكورية.

مقالات إسلامية:

حزن نبي



2 فبراير، 2021

الحزن ترجمة شعورية لخلجات خاصة، تتدفق داخل النفس، وتسري سريان الدم في العروق.

لغة يجيد فهمها الحزين عند النظر في عين الحزين، تمتمات تنتقل أسرع من كل الكلمات، وأحيانا توَّقع العين رسالة القلب، بدمع هو أقرب أن يكون دمع الروح.

حينما سار بخطوات الدعوة الأولى، سار مسير الواثق بأن الله سينصره، لم يهتز ولم يتضعضع كيانه، رغم معرفته المسبقة بطباع قومه.

كان يعلم أن الجهل أطغى، والعصبية أغلب، وأنه سيرى من المحن ما يساوي قدر عنادهم وصعوبة التغيير ..

ومع كل ذلك سار وهو ينظر إلى السماء مُعلّقا آماله بمن وضع الرسالة فيه.

ذاق المرارات، وتناوبت عليه النوائب، وهو في كل مرة يصدع بدعوته، ويهتف بالحق، في كل مرة يجابه الجاهلية، ويعالج أدواء أنفس استعصت ..

ويأبى الله إلا أن يذوق ﷺ طعم الفراق، لتكون الخلة خالصة، والاعتماد تام، فتموت رفيقة دربه الأولى، وعمه – الذي كان سنده من الناس– ويبقى يحاول أن يمضي حزنه في عام الحزن ولكن العام من ثقله كأنه لا يمضي ..

«لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه ترابا. فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول لها: لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك». ويقول: «ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب».

قالت عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم: «هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إنالله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا».

وما كادت الجروح تشفى، والنفس تعاود انشراحها حتى يُقتل من أصحابه سبعين منهم عمه حمزة رضي الله عنه، الذي كان يحبه حبًا شديدًا.

"لن أصاب بمثلك أبدًا" قالها والقلب يعتصر على فقد حبيبه، وصاحبه الذي أعز الله به الإسلام.

استمرت زفرات الغيظ المكبوتة، ورجع بألم طري، يتنفس بين كلماته، «لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد سمع نساء الأنصار يبكين فقال: لكن حمزة لا بواكي له...» ولكن حمزة الذي فقدته لم يكن له بواكي، ولم أجد من يشاركني ألمي فيه، ويجد في قلبه كما أجد، وهذا ما يجعل الحزن أشد، أنه حزني أنا، وما يجعله خاص بي أكثر، أن لا أحد يعلم حمزة كما أعلمه أنا.

ويشاء الله أن يُقتل بعد ذلك، سبعين من أصحابه غدرًا، ويحزن لفقدهم أشد الحزن، قال أنس رضي الله عنه: «فما رأيت رسول الله ﷺ حزن حزنا قط أشد منه».

ثم فجع في جملة من أصحابه في غزوة مؤتة، وحزن لفقدهم حزنًا عظيمًا.

ولم تفارقه الابتلاءات حتى في أهل بيته، فقد فقد أولاده الثلاثة : القاسم وعبدالله وإبراهيم، وبناته الثلاثة : زينب ورقية وأم كلثوم.

«فدفع الصبي إليه ونفسه تقعقع كأنها في شن، ففاضت عيناه، فقال له سعد بن عبادة: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».

لم يأمر الله نبيه بالحزن، بل ونهاه عنه، لأنه ناصره وكافيه من الناس، ولم تكن أحزان النبي ﷺ لما يتعلق بحياته، دون دعوته، وأمته.

إنما معظم أحزانه ودعواته وهمومه كانت لنا، «عن عائشة بنت الصديق رضي الله عنها قالت : لما رأيت من النبي ﷺ طيب نفس قلت يا رسول الله ادع الله لي قال اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر وما أسرت وما أعلنت فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك فقال رسول الله ﷺ أيسرك دعائي فقالت وما لي لا يسرني دعاؤك فقال والله إنها لدعوتي لأمتي في كل صلاة».

تخيل أن يرغب النبي ﷺ برؤيتك تحديدا ..

أظن لو كان الأمر يتعلق بفرد من أفراد أسرتك له مكانة خاصة، وغبت عنه فترة طويلة، ثم يتصل عليك ويعبر عن شوقه ورغبته في لقائك أن قلبك – حينها– سيكاد ينخلع له بالمثل، فما بالك بحبيب الله ورسوله يصرح فيك بذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن سيدنا رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا». قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد..».

تتلاشى الذات لأجل الله ودينه، تختفي الرغبات إلا لما كان للآخرة، يرجو النجاة ويخشى الله ويتقيه، ويفكر حينما يفكر في أمته، حتى كأن كلمة الشفقة في (اللهم أمتي أمتي) خلقت لأجل فمه الطاهر وحده.

«عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ تلا قول الله في إبراهيم ﷺ: رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ، وقول عيسى عليه الصلاة والسلام: إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد – وربك أعلم– فسله: ما يبكيه؟ فأتاه جبريل، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله تعالى: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك».

اللهم إنا نحبك ونحب نبيك ﷺ ونحب من يحبك ونبيك، فاحشرنا يارب في زمرته، واجعلنا من أهل شفاعته، لا ممن خذل دينه، ورضي عمن آذاه، بحجج ليست من الحق وصدق القول وصحة الإيمان.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

القيمة ما معيار القيمة؟!



2 فبراير، 2021

حينما قرأت سطرا في كتاب ما، توقفت لبرهة أفكر، ما مدى ملامسة هذا السطر للمعنى الكامل؟.

تفكرت قليلا، حتى قفزت لعقلي عبارة من السيرة كأنها أتت جوابا لهذا السطر ..

واليوم أثناء انهماكي بعمل ما، جاءت نفس العبارة والسطر وشواهد أخرى، واجتمعت الكلمات في عقلي من هنا وهناك متعثرة، مبعثرة .. حينها شعرت بإلحاح إخراجها والتعبير .. لعل الجلبة التي أحدثتها فيّ تهدأ!!

عدت بكل ما بداخلي والقلم للجواب عن:

القيمة ومعيارها ..

حينما تتكلم عن نفسك، كيف تُقيّم أهميتها بالمعيار السليم؟

هل قياساتنا المجتمعية بعاداتها كل شيء؟

هل فكرت أين أنت حقا؟

نعود للمنبع النوراني، والنموذج الإسلامي الحي، ونراقب مستويات الناس هناك.

متى وأين يُفضل هذا على هذا؟ وعلى أي أساس؟

في السنة ومع أحد الصحابة "كان رسول الله ﷺ يحبه، وكان رجلا دميما، فأتاه رسول الله ﷺ وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه، ولا يبصره الرجل، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت، فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل رسول الله ﷺ يقول: من يشتري العبد؟ فقال:

يا رسول الله، إذا والله تجدني كاسدا، فقال رسول الله ﷺ: لكن –عند الله– لست بكاسد. أو قال: لكن –عند الله– أنت غال".

لم ينس راوي القصة أن يُذّكر بمعيار هو للبخس بين الناس لا الرفع، عندما نوه على دمامة الشكل، فالناس يأخذها ظاهر الصورة عن حقيقة النفس، وهذا في خير الأزمان فماذا عن مجتمع آخر، يُبخس فيما هو أعظم وأجلى فما بالك بالأقل.

وتتجلى صورة أخرى من صور القياس حينما ..
"مر رجل على النبي ﷺ فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا؟، فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع. فسكت رسول الله ﷺ ثم مر رجل آخر، فقال له رسول الله ﷺ: ما رأيك في هذا؟ فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا".

البخس الأول كان للشكل، فعلى دمامة الوجه كان التحقير لعين الذات، وركز جيدا في دقة الرد النبوي على الصورة الأولى حينما قال "لكن عند الله لست بكاسد" ولم يقل عند الناس أيضا، وهذا لضعف البشر عن العدل الكامل وكشف الحقيقة بميزان الحق بصورة مطلقة.

أما في الشاهد الثاني، جاء معيار آخر وهو الحالة المادية، وكثيرا ما يقع الناس في هذا التقييم الفاسد حتى يُكرم بسببه الوضيع ويُوضع الثمين. ومن صور التكريم التي أتى الحديث بمثال لها، الموافقة في الخطبة، والتشريف بقبول الشفاعة..

وهذا قبل طغيان المادية وضعف الإيمان في النفوس الذي نتحسر عليه كل يوم ويصدمنا في عالم الوقت المعاصر، فلم يقتصر الأمر على مثال نبوي هادئ، بل طغيان رفض شمل حتى قبول النصيحة من المنصوح وقبول الصداقة والقرب والتوقير والكلام والمصافحة ...

لم تأت الطبقية لتؤكد معان يصب لأجلها الاختلاف بقدر أنها فصّلت الناس بأشكالها ومظاهرها ومادتها .. فجعلت قيمة الإنسان من قيمة المادة وحرمته من التحليق عاليا في سماء الإبداع والارتفاع لأن مقاسات السمو أصبحت صلبة بصلابتها، وبينها وبين المرونة دهور بُعد وجفاء كجفاء كائن اليوم.

لابد من عزل نفسي عن معايير الناس الجائرة، ففيها من الميلان بقدر انحراف مستويات الصورة، وتشوش البصيرة، وغبش الرؤية ..

"فقال: إن مدحي زين وذمي شين، فقال النبي – ﷺ –: «ذاك الله عز وجل»"

عندما ضحك الصحابة على ساقي ابن مسعود رضى الله عنه .. تعجب النبي ﷺ من ضحكهم وقال ..
" مم تضحكون؟ قالوا : يا نبي الله ! من دقة ساقيه ! فقال : والذي نفسي بيده ؛ لهما أثقل في الميزان من أحد".

سريع هو تقويم النبي ﷺ لفهم الصحابة لمسألة ليست بالهينة كما يتبادر للذهن لأول وهلة، فهذا درس نبوي يتوجب الوقوف بحضوره كل مرة.

لا تقس الناس بما ترى، ولا بظاهر حالهم، ولا بالمناصب و المراكز، والأعمال الدنيوية..!!

خُلقنا لما هو أعظم من الدنيا وما عليها، وأتينا لهدف أكبر من حجم الكواكب والأفلاك، بل والغاية من الوجود ليست بحجمنا المادي المحسوس، إنما بما وقر في القلب وصدّقه العمل!.

لا تبحث عن مستوى اجتماعي يجعل الآخرين يوقرونك ويجلونك، ابحث في غابات روحك المهجورة عن قناديل النور، عن محبة الله، وماجاء به الرسول ﷺ.

تحسس جوفك هل شيدت صروحه على تقوى، هل جملت باطنك بما يرضي الله عنك، هل بنيت قصرك في الجنة، ورفعت درجتك هناك، هنا فقط تستطيع أن تكون أمة لوحدك. وتركل بقدميك مقاييس الناس الفارغة بفراغهم.

أن تُفلت يدك



3 أبريل، 2021

في ذلك اليوم رأى والدي في المنام أنه أدخل قطة صغيرة، تستدر العطف والمحبة للمنزل بعد أن كانت ع ند الباب، شاهدها أثناء عودته من المسجد، روت أمي لي المنام ثم قالت: بعده كان ميلادك. لم أفسر الرؤيا أو أفكر فيها بقدر ما شدني أنني أتيت، في لحظة ما، وزمن لا أعرف فيه أي شيء، أتيت نابضة بالحياة، أكافحها بصرخة، وأقاومها بأطراف ناعمة كأن حركتها المتوترة والمتتابعة تقول : ما الذي تريدينه مني يا دنيا؟! على الأقل، ابتعدي عني في هذا الوقت!.

تعلمت مع أول خطوة ثمن أول شيء أتقاضاه، فلم أسير على أقدامي إلا بعد عثرات وسقطات، ومحاولات، والثمن بحجم النجاح، فكانت الفكرة : أن تسير لابد أن تسقط، وأن تسقط لا يعني أنك لن تسير بعد الس قوط، أنت رفيق العثرات يا ابن آدم، فما دمت تسير ستسقط دائما، لذلك حافظ على اتزانك تقل عثراتك.

جُبلت على التحدي والقوة، ولم أكن أعلم – على التحديد- لماذا لا أستجيب لأوامر المدرسة والبيت، ليس القبول ما يثير دهشتي الآن، بلالرفض، لماذا كنت أرفض الأوامر باستمرار مع أني كنت أدرك حجم العقوبات خلفها، وتدخل النبذ بشكل مستمر؟! لماذا رجحت أن أُقصى رغم أنه كان بإمكاني أن أقترب؟!

كنت لا أهدأ عن المشاكسة، ويعجبني توجيه أجواء الفصل على ما أريد حتى لو انزعجت المعلمة أو عطلت الدرس. ما هذا التهكم، والتحكم، أي جبروت طفولي ذاك الذي لازمني في مراحل طفولتي الأولى، ولكن لا شيء بلا معنى، والمعنى الذي لامسني فيما بعد، أنني حقا أكره الأوامر، خاصة إذا تعارضت مع ذاتي، وهي حينها منزعجة لاختلال جزء من سكينتها وتعبر عن ذلك الجانب بطريقتها، فعرفت لأي درجة أنا واضحة ومتسقة مع نفسي.

في مسيرتنا كاملة سنجد أن بعض المواقف تُزرع في دروبنا ليس لنتخطاها وننسى، بل لنعرف من خلالها من نحن، لذلك لا يختبر الإنسان مدى ضعفه البشري حتى يمرض، وصعوبة السيطرة على نفسه حتى

يُبتلى بالذنب، فتنكسر في داخله أبواب ومساكن، ويعود بكامل فقره ومسكنته بقلبه المطمور في الرمال منزوع الحول والقوة.

البدايات خطوط عريضة لما سنكون عليه، وإن كانت ستتغير ففي التفاصيل لا الجوهر، فغالبا هناك مقدمات تمهد بالمستقبل وتشي به ولكن لا ندركها.

في لحظة ما؛ تعلمت ألا أخاف، وحصل الأمر بالتعلم، وصعقت حينما أدركت أن نزع الخوف من النفس لا يكون جبلة دائما، بل ممارسة، فكانت خطواتي الثانية وتعلمي للمشي في ممرات أخرى من جديد، وبعد أن كنت أرى بمخيلتي صور وهمية ترعبني في الظلام، أصبحت أداهم الظلام والنور معا دون رفة جفن، شيء ما كان عالق في أعماقي ثم سقط، فهمت سر الرهبة والشك، والدواء
لكل هذه العواصف بعد أن أفلتت جميع الأيدي يدي وتمسكت بحبل الله المتين. كان الدرس الأقوى، أن تكتشف لغز القوة والضعف والانكسار والحيرة، كل شيء يحتاج صلابة الإيمان، واحتجت إيماني، فبحسب ما فهمت من الدرس أني سأتعثر من جديد لو لم أبحث عن اتزاني، والإيمان هو الداعم الأقوى في الوجود.

فُتحت لي أبواب كثيرة، وقفت أمامها بازدراء من لا يريد إلا درب واحد، سير باتجاه واحد، وهذا التحكم والوضوح أعادني لمراحل المشاكسة، وكيف كنت أرفض ما لا يتسق معي .. لذلك لا أريد إلا ذلك الباب الذي اخترته بكل إرادتي، باب الله؛ نعم بابه، فلم تعد تغريني الدنيا، فقدت حاسة التذوق لمثل هذه الإغراء ات الباهتة، لا يوجد ما يستحق العناء، لماذا سأضحي من أجل الباخرة التي تنقلني ولا أهتم بوجهتي في الضفة الأخرى؟!.

تبدلت نظرتي للحاجات من حولي، بعد أن كانت بديع، جميل، مذهل، رأيت كُنُّها وعرفت أن القشور قد لا تقول عما بداخلها، وأحيانا تُظهر العكس.

فهمت لأول مرة معنى أن لا تكون مُحاطا إلا بذاتك من جميع الجهات، أن ترتبك من وجود جدار حاجز بي نك بينها، أن تحاول هدمه بكل ما أوتيت من قوة، وهذا ما جعلني أفهم ضعفي البشري، وأن الامتلاءات التي تم حشوي بها من زميلات الدراسة، كانت ليس إلا تمهيدا لحصول هذا التصلب الذي احتجت في تلك الفترة هدمه حتى أرى وأستشعر حاجتي لله، لمن يرشدني، ويقيني التغول الداخلي الذي بدأ يكتم أنفاسي، ويسد منافذ النور.

انسكبت كاملة، نزلت دمعة واحدة من عين تريد أن تبصر، تبللت علّ البذرة التي في أعماقي أن تنمو، وسألت الرحمن أن لا يجعل المطر ذلك اليوم ينتهي إلا وهدايتي للحق أول بشرى، ثم دخلت المنزل وأنا ذلك العصفور المبلل بالمطر، والمطأطئ الجناح. والعجيب أنه وقع في نفسي كاليقين أن الله استجاب الدعوات، وبالله أنه استجابها حتى لم أعد أعرفني في نفس الليلة، ليست هذه أنا، فأنا تطربها الموسيقى، وأنا لا تكترث لغير سعادتها، وأنا لا تتحمل هم منتصف الليل والخجل من الله أن تسمع أغنية وهو على نزول يستجيب فيه.

تبدلت كلماتي، كأن اللسان تم تغييره، ولكن لا عجب طالما القلب اغتسل، فشعور الطفولة والخفة صاحبني بشكل لا يُصدق حينما اخترت باب الله، ورغم أني لم أكن مبتهجة بصخب، لكني كنت مرتاحة،

شعرت أن هذا القرار رغم صعوبته أهم خطوة وخطة في جدول مراهقة طائشة، فحلّ الأمان محل الثورة، والسكينة فوق الغضب، والذّكر بدل السخريات اللاذعة، وتهميش الناس.

تنفست الحب بشكل عميق، حينما عرفت الله، كان حبي من النوع المتراكم، فكل يوم كان رصيد جديد بمشاعر أخرى واكتشاف جديد لألطاف لم ألحظها، فتراكم في صدري لدرجة المسؤولية، كان نداء المسؤولية تجاه ديني هو نداء الحب تجاه ربي، أحببته حبًا لو أعلم أن الحياة الباقية ستكون خالية منه لبغضتها، وتمنيت مغادرتها، فكل أحلامي وآمالي ارتبطت بهذا الحب لدرجة أنه أصبح الغاية والوسيلة معا.

حينما تتمحور حياتك حول هدف، تجد في نفسك الرغبة في إتمام المسير ومواصلة الصبر بل والجدوى فما بالك لو تمحورت حول أن يحبك الله، وكيف ستصل لهذا المستوى الرفيع من علاقة العبد بربه، ثم تطأطئ خجلا بهل أنا أستحق؟!.

لو سُئلت عن أجمل ما تعلمته على الإطلاق من أيامي المكتضة بالدروس لكان بلا تردد أني تعلمت أن أفلت يدي!. نعم أفلت يدي؛ منالناس والدنيا والأمل فيهم والرجاء منهم والتعلق بهم. أن أقاوم إغراء الظواهر فلا يصرع قلبي شكل أو رمز أو فكرة، أن أفلت يدي وأفرغها حتى من نفسي؛ أن لا أبني في عقلي صور مختزلة، ضيقة، وأتوه فيها وأغرق رغم علمي بأن كل شيء ليس إلا وهم ما عدا وجه الله.

وكم أحياني هذا اليأس وحررني !.

مقالات منوعة:

صخب المدينة



2 فبراير، 2021

تحدق في النافذة، كأنها تنتظر خبر ينتشلها من سكون الغرفة، أو ريح تحرك الأوراق التي تنظر إليها فيطير معها صمت التفكير والتحديق ..

شيء ما يقول لها لفي وشاحك عليك جيدا واخرجي لعل السير ليلا يشتت عقلك، وآخر يتشبث بها لأن تبقى في هذا السكون الشاحب.

قلبها يرف مع كل دقة من دقات عقارب الساعة، وفي النظر لعينيها – لأول وهلة– يتبادر لذهنك أنها نائمة بعينين مفتوحتين.

اعتادت صمت القرى، والإنصات لنبضات الطرق الثقيلة، وفي اعتيادها حياة أخرى هامشية روتينها هذه طقوسي، وليست طقوس القرية فحسب.

حينما ينغزها الصوت في أذنها اليمنى تعرف أنه لن يكون إلا ورقة هزتها رياح، أو عصفور هزه طرب، أو السخانة وهي تسخن الماء، أو إبريق شاي، أو ولدها الوحيد عائد ليتكلم بخفة وشوق.

كل يوم هو فرصة بالنسبة لها للتفكير من جديد في أحوال أهالي القرية وغزل الصوف للمحتاج، أو البحث عن حل لمن وقع في فخاخ المشاكل.

منحها الصمت سكينة يلفها شموخ القرى ووحدتها، فتراها من بعيد كجبل شامخ، وما أن تقترب حتى تكتشف أنها شجرة عتيقة، عريقة.

في هذا التأني والخشوع الذي يميزها، قصص محبوكة بسواد الليل وتجاعيد مظلمة تكشفها أول إشراقة للشمس وتشي عن تفاصيلها.

وهي تعرف الصباح كما يعرفها وتدل فيه الحياة باعتياديتها وتجددها كل يوم.

كم خيطت بأناملها وهي تتمتم بكلمات هادئة تعبر عن امتنانها لكل ما في الكون والكوخ، وتشكر الوهاب على كل هبة، أحيانا بشكل مفصل وأخرى مُجمل.

لا يتفوق على تركيزها إلا من يمتلك قدرة خارقة – غير موجودة– في رؤية ذرات الهواء والماء، لأنها في هذا الجو تجيد التأمل مع امتلاكها لذاكرة صلبة، فتلتقط ببصرها وتسجل في عقلها وتؤرشف ما سجلت حتى لتتذكر من شاهدته لمرة واحدة ولو لأكثر من سنة.

لا يشبهها الخريف ولا الشتاء هي صيفية سمراء اخشوشنت مع تدفق الحياة المشتعل بين يديها، واعتمادها المستمر على قدميها دون أدنى معين.

حينما تتخيل ولو لخيال أن مثلها سوف يعيش في مدينة من مدن اليوم يضطرب وجدانك ويهتز وتشعر بوخز في ضميرك رغم أنك لم تتسبب في نقلها حتى فيه، ولكن لشدة جنون الفكرة تكترث لها كواقع شديد المرارة.

كم لوثت المدن بصخبها سكينتنا الأولى ودمرت هذا الخشوع وسرقت أجمل لحظاتنا الهادئة المرحة والبعيدة عن ضوضاء المترفين، المدللين.

فقدنا هذه الروح التي تكترث لكل شيء وتعيش كأنها تمسك ذرات الغبار المتطايرة وتعدها عدا، غاب الفرح القديم واللذة الشعبية البسيطة، مع أعاصير المدنية الغربية العاتية التي تقتلع كل ما يقف في وجهها حتى لو لم يكن معارضا بل يريد منها أن تكون -فقط-أبطأ.

هل تعرف المدينة، معاني القرى وتمتمات الشكر الناعمة في أفواههم وتناغمهم مع كل شيء في هذه الطبيعة الخصبة كقلوبهم؟!

هل تعرف أننا كلما تقدمنا هنا أكثر شعرنا بقوة التعقيد لا راحة التقريب والتسهيل، وأننا نعاني من أمراض قد يكون أكثرها من جراء الصخب؟!.

استقطابات ناعمة



2 فبراير، 2021

في غفلة عن أمرها، سُئلت عنها كثيرا في موقع القراءة، وصلتني رسائل على الخاص، تشتعل بالخوف والحذر، ونبضات قلقة أتلمس صوتها بين الكلمات.
"هناء هل تعرفين عنها شيئا؟" أجيب : "لا أعلم إلا ما تعلمون، ما سبب ظنكم أني قد أعرف؟!"
"لا شيء؛ ظننا لأنكم نفس الجنسية، وصداقتكم واضحة على الموقع، فقلنا ربما تعرفينها بشكل خاص!"
بعد برهة تفكير .. "نعم تواصلنا قبل اختفائها عن الموقع، لكن ليس عندي جديد عنها، لو عرفت أي شيء أخبرتكم بإذن الله".

نعود لفترة قبل الاختفاء لأخبركم عن هذه القارئة الصغيرة النهمة، صحيح أنها لم تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها – في ذلك الوقت– ولكنها اشتهرت في موقع القراءة بالذكاء، وقوة الملكات، فقد كانت تقرأ كتبا لم يقرأها إنسان في العشرين، بل وتتمها بوقت قياسي وتكتب عنها برشاقة وخفة فريدة.

برزت بشدة اهتمامها الديني وبالكتب الفكرية والثقافية المتنوعة، وكان في ردودها جانب من الاتزان وقوة المنطق.

لم يُشعرها الأصدقاء –هناك– بأنها صغيرة، بل ربما هي لم تشعرهم بهذا، لجمال حضورها وشدة تأثيره.

كانت تكتب المراجعات، وتعلق، وتناقش وفي كل ما تفعل تجانس شديد وترابط في التعبير والتفكير ..

لو أردت أن تشك بأن شخص ما سيضل، لن تشك في هذه الفتاة، فكيف لعقل كهذا أن يأتيه الباطل ولا يعرفه، وثقافة ممتازة تجاوزت فيها الثلاث مئة كتاب أن تتهشم أمامه؟! ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، سبحانه.

في فترة تفاعلي وتفاعلها على الموقع، حصل أمر شتتني قليلا؛ وهو أن أحدهم أرسل رسالة خاصة، يرجو مني دخول مجموعة ثقافية، تناسب من هم في فكري على حد زعمه!

فتعللت بأني لا أتعامل مع التلقرام، وأن التطبيق جديد علي ولم أستخدمه بعد، ومضيت ..

ولكن الفضول دفعني مرة أخرى لأرى معطيات هذه المجموعة، وأحكم بنفسي ..

دخلت المجموعة ورأيت أمورا لم أرها من قبل، تعجبت كثيرا من تطاول أفرادها على الله ورسوله، وكمية السب والشتم للدين الإسلامي، بل صعقت تلك الفترة ودخلت في أزمة نفسية لا أدخل في مثلها إلا قليل.

كنت أصحو وأنام وعقلي مشغول بهذه المجموعة والكلام الذي يدور فيها، مشغول لدرجة أني أخرج منها خوفا على ديني، ثم أقرر الدخول لأرى ماذا حصل فيها من جديد ..

كانت فترة المجموعة من فترات التحول الجادة في حياتي، لأني من ضمن الأشخاص الذين قد يحركهم الاستفزاز إلى قرار صارم ومصيري، وهذا ما فعلته معي حقا.

بداية؛ مثقفتنا الصغيرة وجدتها صدفة في هذه المجموعة، اندهشت، وقلت في نفسي: لا زالت صغيرة على مثل هذا الكلام المرعب، كيف ستتخلص من تبعاته؟!.

دخلت لها في الخاص وقلت ما الذي جاء بك إلى هنا هل أنت مجنونة؟! وأعقبت ممازحة: لو رأيتك هنا مرة أخرى أخبرت والدك.

ردت علي بأنها فقط تقرأ وترد إذا لزم الأمر ولا شيء يستلزم خوفي عليها.

لم يرحني هذا ولكني على الأقل حاولت ونصحت، وكنت صادقة في توعيتها بالخطر.

كان نشاطنا في موقع القراءة كما هو، وهي كما هي لم تتغير –في تلك الأثناء.

وبالصدفة لاحظت أن نفس الشخص الذي دعاني للمجموعة موجود عندها في حسابها التويتري، يعني أن دخولها لا يختلف في مسببه عن دخولي، وأن نفس الشخص يحاول الاستقطاب باستمرار ..

كانت أثناء وجودي في المجموعة تناقش وتذب عن الدين وترد وتفند.

لم يطل بقائي في المجموعة، ربما أخذت مني شهر أو أقل قبل خروجي النهائي خوفا على ديني، والتي خرجت منها محملة بقرارات صارمة تخص حياتي.

أما هي فلم أعد أعرف عنها فيما يخص المجموعة – رغم أنها استمرت معنا في موقع الكتب قليلا– ثم انقطعت انقطاعها النهائي والمريب ..

والذي كان انقطاع تام ومن كل البرامج حتى شككنا أنه أصابها سوء، وقلق عليها الكثير لنفس السبب.

مضى على المجموعة ما يقارب عام، كنت طوال المدة أحاول الاجتهاد في العلم الشرعي وترك الكتب التافهة والالتفات للمهم منها، وفي يوم ما دخل حساب جديد على موقع القراءة باسمها يحمل صورة تختلف عن ذوقها الذي أعرفه، صحيح أن الصورة كانت عادية، لكني لم أقرأ فيها نفس الطهر والبراءة السابقة، وشعور قلبي راودني أنها اختلفت كثيرا عن السابق.

دخلت بحماس وحيتنا وكانت سعيدة جدا بعودتها، ولكني لم أفرح لا أدري لماذا، أشعر أنها تغيرت للأسوأ وتخفي ذلك، قلبي لم يطمئن، وسألت صديقتي المقربة في الموقع وقالت لي حتى أنا يا هناء أشعر أنها تغيرت لكن لا نحكم حتى نتأكد، وحاولي أن تفهمي منها ذلك، فهي دخلت الموقع ولم تضف أي كتاب ديني قرأته من قبل، قلت لها صحيح، وهذا ما لاحظته!

في ذلك الوقت قَرَأَت كتاب إلحادي وأعطته تقييم مرتفع، ولمحت في المراجعة أنه لولا الأفهام لمنحته أرفع من هذا!.

اندهشت جدا، كيف لها أن تشيد بكتاب كهذا بهذه الوقاحة، فعلقت عندها على المراجعة وفي الخاص، ولكن الصدمة أنها صرحت لي بأنها لم تعد كما كانت، تؤمن بما نؤمن!

وصدمني أكثر – بعد شكها بالله– أنها نفس الشخص الذي كان يفاخر بأنه يسكن جوار النبي ﷺ في مدينته!! كانت أصعب لحظاتي أنا وليس هي، لأني شعرت بمسؤولية مضاعفة تجاه ديني وتجاه من هم مثلها ..

تلبسني القلق والهم بشكل كامل، ومضيت من عندها وأنا أحترق من الداخل ليس عليها فحسب بل على كل من كان سببا في تلويث قلب مسلم.

كنت أعد الخطوات خطوة خطوة، كيف سأتقدم للأمام، ماذا أفعل، ما هي خططي، بماذا سأضحي، وماذا سأختار ...

لولا أن الله ثبتني لكان حزني يئسا من تغيير أي شيء، ولكنه دعمني بقوة الأمل، فكنت أرى النجاة في مضاعفة الجهود والتركيز على نقاط القوة.

درست العلم الشرعي بحرقة، كان قلبي لا يهدأ وللأسف لازال لا يهدأ ولا أظنه سيهدأ وأنا أرى أمثالها يتخطفهم الضلال من حولي ..

كيف لاستقطاب ضعيف وفاشل أن يؤتي ثماره في شبابنا ويقلب كفة الإيمان الصلب؟!، كيف لجنود السوء أن يكون لديهم إصرار مضاعف؟!.

كثير ممن نراهم تبدلوا لم يكن ذلك بشكل عشوائي وعلى كامل الحرية والاختيار، هناك من يعمل في الظلام، ويضغط في السر، ويجند ويخلص لقضيته ويكافح ويقدم راحته ووقته قرابين.

شباب الأمة مسؤوليتنا نحن، أهل بيتك أمانتك، جارك إذا أخطأ تذكيره مهمتك، زميلك، معلمك، شخص عابر لا تعرفه ..

كن لهؤلاء القوة، مهما عصفت بك وبهم الدنيا، ولا تكن خادما للأعداء بتوانيك السلبي، وشعورك بقلة اليد، مهما وصل ضعفك.

نريد استقطابا عكسيا، استقطابا ينتشل شبابنا من أمام ذئاب الفكر، وخونة الدين، استقطابا علميا توعويا، يعيد لهذه الأمة تكاتفها وقوتها في الحق.

استقطابا لبرامج الخير، وتجمعاته، ونوافذه، يصنع ويبني في عقولنا، ويجعلنا نتماسك لنكون الدروع الحية دون إسلامنا، ومبادئه التي زرعت فينا.

الوقت أنت



28 مارس، 2021

قديما كانت للحظات أبعاد أعمق، تمر الدقيقة بثقلها كاملا، تعطف الساعة الكثير في قلبها، يتنفس المرء بركات الوقت وكأنه البندول والساعة والحائط.

حينما تُدار أموره يدرك أن لليوم ثمن حياة مُنحت له عطية البقاء لإكمال الأمانة، يزرع في الزمن ويحصد وهو كما هو ثابت الجنان والبنان قوي الارتباط بهذا الكون الرحب. فالسماء مظلته والأرض بيته ومدينته لها ومنها يمتزج ويرفل بالنعيم..

أكتب عن هذا المبارك وأنا أركض خلف المهام المعطلة في تمام الخامسة صباحا إلا الربع، أشعر أن تفاصيل اليوم حينما زادت عن حدها السابق أصبحت بتوحش كائن غريب يطاردني طوال الوقت، ثم أقف على أطراف العقارب أريد أن آخذ بعض أنفاسي الشاردة من كل هذا السعي ولكنها تبتلعني. لم تعد من أبجديات الحياة رحلة التناغم الهادئة، أن ترتشف إبريقك وأنت تتأمل ذراته المنسكبة في الكوب ثم تبتسم في امتنان، أو تقف على باب بيتك ولا تدخل حتى تفكر بنعمة العودة وأنك نجوت حتى من نفسك في الطريق، أو تنام وتعد الآثام التي ألحقتها بصحيفتك وتنزل عليها قطرات باردة لتطفئها وتحيي قلبك.

الغريب أنك خلف هذه الملاحقة المستمرة لم تعد تشعر أي كائن تم استعبادك، كيف كنت وكيف أصبحت، وماذا تبدل بالتحديد. رغم إدراكك أنك لم تعد أنت بكل ما تحمل من مضامين قديمة عالقة فيك. تمت سرقتك بجدارة، لدرجة أنك أصبحت أسيرا يمضي، مكبلا يبتسم، يضحك ولا يدري لم، وينازع البكاء وهو لا يفهم السبب، وعلى هذه الحيرة بين حالاتك .. تم برمجتك على ألا تشعر بكل ما يحدث.

يتم انتزاعك عن تفاصيلك، كانتزاع الروح من الجسد، يتم تهميش كل ما ينبغي أن تفكر به، يتم السطو على ذكرياتك التي اكتسبتها من أسلافك، وتعتيم الحياة فوق نظارة عينيك حتى لم تعد ترى إلا ظلالا معبئة وخيالات كأنها سراب لا يروي من عطش.

الفطين قبل غيره لا ينتبه كم جرفته الأشياء، وهو على قاربه يحركه الموج يمنة ويسرة، يريد أن يصل لكنه لا يتجاوز الدوران المركزي، نفس الانشغال بالدوائر البسيطة جدا تمنعه الالتفات إلى الوجهة المقابلة.

لم يعد شيء في محله الطبيعي، الملهيات تشتت الانتباه، الصور تتداخل، العبارات يتم تدويرها بشكلٍ اكتساحي وكأنها رياح عذاب القرون الأولى. حتى وإن تشبثت بأقصى قوتك، لابد أن يأخذ غضب الريح جزء منك.

حينما كان الإنسان يفكر في كل خطوة، كان يستنتج النهاية لأنه كان حاضرا بكل وعيه في البداية، أما الآن فلا يستحضرني في هذه اللحظة إلا قول النبي ﷺ وهو قول بعيد في أعماقه وتعريته للواقع الآتي "ليأتين على الناس زمان، لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام" هو ليس مجترئ على الله فحسب بل مشتت القوى، خائر العرى، تم جرفه لضفاف بعيدة ونزعه عن ذاته وبداياته من حيث لم يفكر. وقوله ﷺ "يتقارب الزمان ويظهر الجهل ويقل العلم" فرغم تقارب الزمان وسهولة النقل بكل صوره ستجد أن النتيجة عكسية بخصوص ما يُتَوقّع من تسهيل كل شيء، فأن يُظَن أن الدين سيكون أكبر والعلم أكثر، لا يكون كذلك لأن الذات تم تجريفها بهذا التقارب وتعويمها وتكرارها بطبع الذوات فيها فتوهن وتستسلم لواقع الضعف الضاغط والجهل الفاشي، ويصبح الجو العام جو تفلت وانهيار عزائم. ولا أشك في أن نزع بركة الوقت رغم تذليل كل شيء في هذا الزمان ليس إلا دليل على أن القدرة والألوهية لله، وهذا دليل برهاني ملاحظ، فرغم زيادة قوة الإنسان لم يتغلب على نفسه، ورغم تأديته لذاته بقي عاجزا أشد العجز عن الكسب في يومه بقدر ما تمكن إنسان الأمس رغم أنه لم تكن بيده أي وسيلة حضارية كما الأخير. تعرية الإنسان مما يملك ووقوفه بجانب العجز وضياع الأمور عن سيطرته سمة أزمنة الفتنة، وسمة شهوده التغيرات الكبرى في الحياة الدنيا، فهو وإن حرص على اجتناب كل شيء والبعد عن مسببات الفتن سيناله هذا التشتيت رغما عنه، الذي لم يدع بيتا إلا دخله، ووسائل العزل عن الذات ليست في هاتف محمول أو غيره، بل في أدمغة تمت تهيئتها لقبول فرص جديدة تعتمد في كل شيء على الأجهزة وتخديرها.

عند التأمل، رغم أنا نملك الكثير إلا أن الضياع سمة لا تنفك عن اللحظات، مفقودة كثير من المعاني فيها، بعضها لم يرتدي انتماءه الصلب، والآخر لا يلامس الرضا الداخلي كما يجب، برود مصاحب، وأحيانا التفكير في لاشيء فقط للبحث عن ذلك المفقود المموه، السعادة لم تعد بكامل عفويتها، والسكينة ناقصة بركتها، وشيء ما يركل الأحداث لتبدو وكأنها غير مكتملة..

فرق بين أن تركب قطار رحلتك وتسير فيه بهدوء وتراقب الطبيعة وترصد جماليات الخارج مبتسما مشرق المحيا تنجز واجباتك فيه على مهل إلى أن تصل وأن تنتقل من عربة إلى أخرى تسابق العجلة والأنفاس حتى

لا تفوتك طائرتك التي توشك أن تقلع، فما بالك لو كانت حياتك تنقلات مستعجلة وأهم ما فيها تلتقطه وأنت لا تدركه بقواك ولا تستطيع.

نفقد الدهشة والتروي وجانب كبير من اللذة، لدرجة أن النعم لم تعد تحرك فينا شعور الامتنان، وكأنها استحقاقات تعودنا أن تتوفر، كيف، متى، لم، لا توجد مساحة في عقولنا لمثل هذه النقوش الزائدة، فكل ما سوى المحسوسات سيسقط عن أمزجتنا اللزجة والتي فقدت ثلاثة أرباع الصبر. أصبح التحدي الأكبر أن تحاول أن تعرف من أنت، ولماذا أنت، وتراقب تدبير الله لدقائق أيامك، تلمح الرحمة، تتوجه بقلب شاكر لتقول يا رحمن هبني المزيد فأنا أتقلب في ألطافك، وأنت قلت (لئن شكرتم لأزيدنكم). هبني المزيد لأكون حاضرا بقلبي وفكري أثناء حضور الجسد وشهادة الجسد، ألا أفقد ذاتي وهي تلهث في المحطات والتنقلات وأرتبط بصورة الأصل وغايتها.

"الوقت صناعة الهادئين وعذاب العجولين ومسألة التائهين .. الوقت رفاهية المطمئنين ورعب المنتظرين وفلسفة الواصلين .. الوقت أعذب أمنيات الوصال وأصعب بوابات الفراق .. الوقت أنت حينما تملك حالك، والوقت غيرك، حينما تنتظر أمرك من غيرِك .. والوقت هو الوقت .. عداد العمر السائر نحونا قُدُما مهما استخفينا منه أو استبسلنا شُجعانا ساعةً لقياه". -راقية جلال.

تمّ بحمد الله.

ادعوا للغالية الطيبة.